

ابن زهير

(الحفيد)
وشاح الاندلس

دكتور
فوزي سعيد عيسى

مكتبة الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر **المستشار** ف. م. الاسكندرية
جلال حزي وشركاه

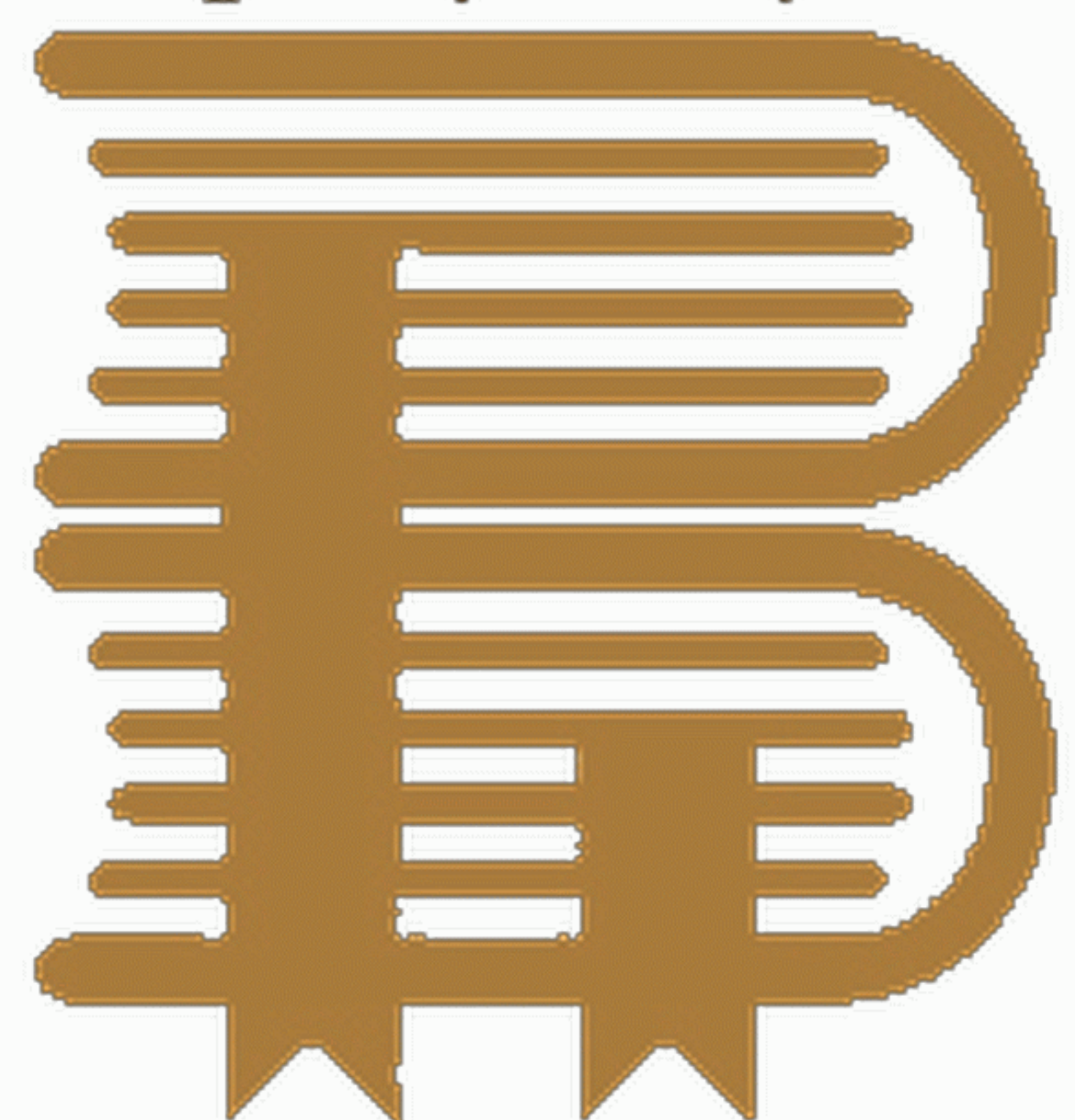
ابن زهر

(الحفيد)
وشاح الأندلس

دكتور
فوزي سعيد عيسى
مكتبة الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر / منشأة المعارف بالإسكندرية
جمال حنزي وشركاه

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

إهداء

إلى ابنتي رانيا

مقدمة

استحدث الأندلسيون فن الموشحات في أواخر القرن الثالث الهجري ، وكان هذا الفن الجديد ثورة حقيقية على النمط التقليدي للقصيدة العربية ، وقبض للأندلس أن تحظى بكوكبة من الوشاحين في أجيال متعاقبة كان لهم أثر واضح في تطور هذا الفن وازدهاره . ولا تذكر أسماء مشاهير الوشاحين في الأندلس إلا ويذكر معها اسم ابن زهر الحفيد، فهو واحد من أبرز وشاحي الأندلس ، وهو ليس وشاحاً عادياً ، بل هو صاحب مدرسة في فن التوشيح هي مدرسة الطبع والبساطة ، وقد أدرك ذلك أسلافنا القدماء ، فوصفوه بأنه أول من عصر سلافة التوشيح لأهل الأندلس ، وأنه انفرد بطريقة متميزة كانت هي الغاية والمطمح لمن جاء بعده من الوشاحين .

ومع هذه المكانة البارزة التي تبوأها ابن زهر بين معاصريه ، وعلى مر العصور ، فإنه لم يحظ - فيما أعلم - بدراسة تكشف عن خصائص فنه، وتضعه في مكانه اللائق به ، وقد أخذت أتبع أخبار ابن زهر وأشعاره وموشحاته في المظان المختلفة حتى تجمعت لدى مادة تستطيع أن تني بما يصور الجوانب المختلفة لهذا الوشاح المبدع .

واقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على ستة فصول ، فخصصت الفصل الأول لاستقصاء أخبار بني زهر وتتبع جهودهم في الطب والأدب، وفي الفصل الثاني عانيت بالحديث عن حياة ابن زهر الحفيد وصلاته وثقافته .

أما الفصل الثالث فقد مهدت له بالحديث عن نشأة الموشحات وتطورها ثم تناولت بالدراسة الموضوعات التي أجاد فيها ابن زهر في موشحاته . وفي

الفصل الرابع درست جوانب الشكل الفني في موشحات ابن زهر فتناولت فيه طريقته في بناء الموشح ، ومظاهر التجديد عنده في الموسيقى واللغة والصور الفنية .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن منزلة ابن زهر الأدبية ومكانته بين الوشاحين .

أما الفصل السادس فخصصته للحديث عن ابن زهر الشاعر في حدود ما وصلنا من نماذج شعرية عثرنا عليها في المصادر المختلفة .

وحتى يستكمل البحث جوانبه ، أوردنا في ختامه ما أبقت له لنا الأيام من آثار ابن زهر في الشعر والموشحات .

ونأمل أن يسد هذا البحث فراغاً في المكتبة الأندلسية ، والله نسأل أن يوفقنا ويهدينا إلى سواء السبيل . . .

الاسكندرية في يوليو ١٩٨٣

الفصل الأول

بنو زهر

وجهودهم في الطب والأدب

ينتمى ابن زهر الحفيد إلى أسرة شهيرة توارثت زعامة الطب في العصور الوسطى على مدى ستة أجيال ، بدءاً بعبيدهم الأكبر محمد بن مروان بن زهر وإنهاء بأبي محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر ابن زهر .

وكانت جهود أسرة بنى زهر في الطب تنويعاً لجهود أطباء أندلسيين سبقوهم على شاكلة أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ، وابن باجة ، وسفيان الثوري ، وابن وافد الطليطى ثم أبي الوليد بن رشد صاحب كتاب « الكليات » الذى تداوله الناس ونال شهرة واسعة في العصور الوسطى . إذ أنه تناول التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض وأعراضها والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والعلاج . (١)

ثم آلت رئاسة الطب إلى بنى زهر ، فتوارثوها جيلاً بعد جيل ، وحفظوا مكانة كبيرة لدى الخلفاء والأمراء ، ولم يقتصر الاشتغال بالطب على رجال بنى زهر وحدهم بل شاركهم في ذلك نساؤهم فاشتهر منهن بالطب أخت الحفيد ابن زهر وابنتها اللتان يصفهما ابن أبي أصيبعة بأنها كانتا « علمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور ولا يقبل (للمداواة) أهله إلا أخت الحفيد أو بنتها » (٢).

وقد يكون من المفيد لجلاء الصورة أن نقف على جهود كل واحد منهم

على حدة :|

محمد بن مروان بن زهر :

هو عميد عائلة ابن زهر والجد الأكبر لابن زهر الحفيد وشهرته أبو بكر

(١) تاريخ الفكر الأندلسى ، بالنسبة ، ص ٤٦٩ .

(٢) طبقات الأطباء ٧٠/٢ .

اشتغل بعلم الحديث في طليطلة ، وروى عنه بها بعض المحدثين مثل حاتم بن محمد ابن مصنف أبي عبد الرحمن النسائي (١) .

وقد وصف محمد بن مروان بأنه « كان عالماً بالرأى ، حافظاً للأدب ، فقيهاً ، حاذقاً بالفتوى ، متقدماً فيها ، متقناً للعلوم ، فاضلاً ، جامعاً للدراسة والرواية ، وتوفي بطلبيرة سنة ٢٢٠ هـ وهو ابن ست وثمانين سنة » (٢) .

عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر :

وهو أول من اشتغل بصناعة الطب من أسرة بني زهر ، ولذلك يعتبره بعض المؤرخين العميد النعماني لبني زهر وصاحب هذا البيت الشهير بالأندلس (٣) وقد رحل عبد الملك هذا إلى المشرق ، وتطرب به زمناً ، وتولى رئاسة الطب ببغداد ، ثم بمصر ، ثم القيروان ثم قفل إلى الأندلس واستوطن مدينة دانية ، وطار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى تفوق على أهل زمانه . (٤)

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن عبد الملك بن زهر حظي بمكانة كبيرة في بلاط مجاهد العامري ملك دانية في ذلك الوقت ، حيث أكرمه إكراماً كثيراً ، وأمره أن يقيم عنده ففعل وحظي في أيامه (٥) .

وقد انتقل عبد الملك من دانية إلى إشبيلية ولم يزل بها إلى أن توفي بعد أن

(١) بنية الملتبس ص ١٢٠ ترجمة رقم (٢٧٩) .

(٢) نفع الطيب ٢/٢٤٤ .

(٣) نفسه ٢/٢٤٤ .

(٤) نفسه ٢/٢٤٤ .

(٥) طبقات الأطباء ٢/٦٤ .

خلف أموالاً جزيلة وكثيراً من الرباع والضياع (١) ، وهذه الرواية تناقض رواية عبد الملك المراكشي الذي يذكر أن عبد الملك بن زهر توفي بدانية ودفن بأزاء الجامع القديم مع قبر أبي الوليد اللقشى . (٢)

أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر :

هو جد أبي بكر بن زهر الحفيد ، ورث الطب عن أبيه عبد الملك وروى عنه وكان أبوه قد جلب من المشرق دواوين من فنون العلم على تفاريقها (٣) فعكف عليها أبو العلاء ، « وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن عباد ، واشتغل أيضاً بعلم الأدب ، وهو حسن التصنيف ، جيد التأليف ، وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا إلى المغرب وقال ابن جميع المصري في كتابه (التصريح بالمكنون في تنقيح القانون) أن رجلاً من التجار جلب من العراق إلى الأندلس نسخة من هذا الكتاب قد بولغ في تحسينها ، فأتخف بها لأبي العلاء بن زهر تقرباً إليه ، ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه قبل ذلك ، فلما تأمله ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه وجعل من طوره ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى » (٤) .

ويقول عنه اليعسبي أحد معاصريه إنه كان مع صغر سنه تصرخ النجاسة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره ، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً ، ويلقى الشيء مستعلماً حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطلب عن

(١) طبقات الأطباء ٦٤/٢ .

(٢) الذيل والتسكلة ١/٥ ص ٣٧ .

(٣) نفسه ١/٥ ص ٣٧ .

(٤) طبقات الأطباء ٦٤/٢ - ٦٥ .

مرامها ، وضعف الفهم عن إبرامها ، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة ، يخبر فيصيب ، ويضرب في كل ما ينتج له من التعاليم بأوفى نصيب ، ويشعر سابق مدى ، ويغير في وجوه الفضلاء علماً ومحتداً ويفوق الجملة سماحة وندي « (١) » .

ويشير ابن أبي أصيبعة إلى براءة أبي العلا بن زهر في الطب فيقول (٢) : « وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب وإطلاعه على دقائقها ، وكانت له نواذر في مداواته المرضى ومعرفته لأحوالهم وما يجحدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم عن ذلك بل بنظرة إلى قواريرهم أو عندما يجس نبضهم » .

واحتفى ابن بسام بأبي العلا بن زهر في « الذخيرة » فأفرد له ترجمة واسعة وأثبت جملة وافرة من شعره فقال عنه « وكنا نتوقع الحمام حتى سطا ونتتبع الغمام إلى أن أعطى ، لو ساجل البحر لفضحه ، أو وازن الدهر لرجحه ، نشأ بشرق الأندلس ، والآفاق تنهادى عجائبه ، والشام والعراق تندارس بدائعه وغرائبه ، ومال إلى علم الأبدان ، فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره ، ولولا أن القلو آفة المديح ، لتجاوزت طلق الجموح » (٣) .

ويقول ابن بسام إن أبا العلا لم يزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة يوسف بن تاشفين فيمن انضم إليه من ملوك الطوائف إلى حصن

(١) طبقات الأطباء ٦٥/٢ .

(٢) نفسه ٦٤/٢ .

(٣) الذخيرة ١/٢ / ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

ليبط ، فشخص الوزير أبو العلاء معهم ، فلقبه المعتمد واستماله واستهواه ،
وصرف عليه بعض أملاكه (١) ولكن أبا العلاء لم يستقر بأشبيلية إلا بعد
خلع المعتمد ، وقد حظى في أيام المرابطين بمنزلة رفيعة ، ولكنه ظل على
وفائه للمعتمد ، فبينما كان المعتمد معتقلاً في أغات ، اعتلت بعض كرائمه ،
فبادر أبو العلاء إليها ولاطف علاجها ، ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له
بالبقاء الطويل ، فكتب له المعتمد إثر ذلك بهذه الأيات : (٢)

دعا لى بالبقاء وكيف يهوى	أسر أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة	يطول على الشئ بها الشقاء
أأرغب أن أعيش أرى بناتى	عوارى قد أضربها الخفاء

ويقول مخاطباً أبا العلاء :

جزيت أبا العلاء جزاء بر	نوى برأ وصاحبك العلاء
سيسلى الكل عما فات علمى	بأن الكل يدرى كنه القناء

وأجابه أبو العلاء بأيات قال فيها :

تنافست المراتب فيك حتى	حللت العسر إذ نخب الشقاء
عزيز أن ينال البحر نهى	وتسقى الكوثر العذب الرشاء
ويلقى فى متون الرمل ماء	وتشكو غاية المحل السماء
ولكن الزمان بلؤم طبع	على الحر الشريف له اعتداء
ومجدك إنه قسم عظيم	به وجد السنا وله السناء

(١) الأخيرة ١/٢ / ٢٢٠ .

(٢) نسخة ١/٢ / ٢٢٧ .

لكنك الغيث إن محل تبدى وكنت الليث إن عن اللقاء
ومثلك عز قدرك عن مثل يؤمل أن بطول له البقاء
لأنك في سماء المجد نجم به لنواظر الدنيا جلاء
وغاية كل شيء لانتهاه وأنت لغاية المجد انتهاء

ويحتفظ ابن بسام لأبي العلاء ابن زهر بمقطوعات إخوانية تشير إلى توثق صلاته بعدد كبير من مشاهير عصره مثل حسام الدين بن رزين وأبي الوليد بن حزم والوزير أبي محمد بن عبدون ، وقد تقلد أبو العلاء منصب الوزارة في عهد المرابطين ولذلك يصنفه ابن دحية بقوله : « إنه كان وزير ذلك العهد وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه » (١) . وقد توفي أبو العلاء ممتحناً من نفلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ هـ بمدينة قرطبة .

ولأبي العلاء ابن زهر تأليف كثيرة ذكرها ابن أبي أصيبعة منها :

- كتاب الخواص .
- كتاب الأدوية المفردة .
- كتاب الإيضاح بشواهد الإفتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق في كتاب المدخل إلى الطب .
- كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس .
- مقالة في الرد على أبي علي بن سينا في مواضع من كتابه في الأدوية المفردة ألّفها لابنه أبي مروان .
- كتاب النكت الطيبة ، كتب بها إلى ابنه أبي مروان .
- مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في تركيب الأدوية .

وله تأليف خلاف ذلك وقد أمر بجمعها وجمع مثيلاتها على بن يوسف بن ناشفين بعد وفاة أبي العلاء ، فجمعت براكش وبسائر بلاد العدو والأندلس وانتسخت في جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ هـ (١) .

أبو مروان : عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن زهر :

هو والد أبي بكر بن زهر الوشاح ، وقد أخذ أبو مروان علم الطب عن أبيه أبي العلاء بن زهر كما روى الحديث عن أبي محمد بن عتاب (٢) ، وترجم له عبد الملك المراكشي فقال عنه : « كان وجيه بلده ، جليل القدر في أهله ، نبيه السلف ، حظياً عند الأمراء والملوك ، متحققاً بصناعة الطب ، متقدماً فيها ، موفقاً في علاج المرضى ، وكان أبو الوليد بن رشد يقول بتفضيله في صناعته على غيره من أهل عصره ويرفع به ويشهد بمهارته . » (٣) وقال عنه ابن أبي أصيبعة : « كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، قد شاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب ، وله حكايات كثيرة في تأنيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك » . (٤) وقد عاش أبو مروان في عهد المرابطين وخدم ملوكهم ونال من جنتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً (٥) ، وصنف

(١) طبقات الأطباء ٢/٦٦ .

(٢) الذيل والتكملة ١/٥ / ص ١٨ .

(٣) نفسه ١/٥ / ص ١٨ .

(٤) طبقات الأطباء ٢/٦٦ .

(٥) نفسه ٢/٦٦ .

ليوسف بن تاشفين كتاب (الاقتصاد في صلاح الأجساد) وفرغ منه سنة ٥١٥ هـ (١). ولكنه تعرض لمحنة في خلافة علي بن وسف بن تاشفين حيث اعتقل بسجن مراکش مدة لأسباب لا نعلمها ثم سرح وعاد إلى بلده (٢).

وقد أدرك أبو مروان دولة الموحدين واختصه عبد المؤمن بن علي نفسه وجعل اعتماده عليه في الطب وأناله كثيراً من الإناعام والعطاء « وكان مكيناً عنده ، على القدر ، متميزاً على كثير من أبناء زمانه » (٣) وألف له أبو مروان بن زهر كتاب (الترياق السبعيني) .

ويحتفظ ابن أبي أصيبعة بروايتين تدلان على براعة أبي مروان بن زهر في الطب ، واستخدامه هذه الصناعة بطريقة عملية فذة ، فيذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن علي احتاج إلى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى إلى كرمه في بستانه ، فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد أكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها فيه أو بغليانها معه ، ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها وطلع فيها العنب وله تلك للقوة الحيوية أعطى الخليفة عنقوداً منها وأشـار عليه أن يأكل منه ، وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما أكل منه وهو ينظر إليه ، قال له : يكفيك يا أمير المؤمنين ، فأنك قد أكلت عشر حبات من العنب وهي تخدمك عشرة مجالس ، فاستخبره عن علة ذلك وعرفه به ، ثم قام على عدما ذكر له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده (٤) .

(١) الذيل والتكملة ١/٥ ص ١٨ - ١٩ .

(٢) نفسه ١/٥ ص ١٩ .

(٣) طبقات الأطباء ٦٦/٢ .

(٤) نفسه ٦٦/٢ .

أما الرواية الثانية التي تدل على ممارسة أبي مروان بن زهر للطب بطريقة عملية فقد جاءت على لسان الشيخ محي الدين بن عربي ، حيث ذكر أن أبا مروان كان في وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين باشبيلية يمسد في طريقه عند حمام أبي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً يشكو إليه حاله فنظر إليه فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء فقال له : اكسر هذا الإبريق فإنه سبب مرضك ، فقال له : لا بالله ياسيدي ، فإن مالي غيره ، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره ، فظهر منها لما كسر ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان ، فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض . أنظر ما كنت تشرب ، وبرأ الرجل بعد ذلك (١) .

ويرى (بالنسبة) أن أبا مروان بن زهر يعتبر أعظم بني زهر جميعاً في صناعة الطب ، ويشير إلى طريقته وآرائه في الطب فيقول (٢) : « وكان يأنف من الفصد والجراحات (على الرغم من أنه لجأ إلى الجراحة في بعض الأحيان ونجح فيها) ، وكان يرى كذلك أنه لا ينبغي للطبيب أن يقوم بتحضير الأدوية ، فسبق بهذا إلى مفهوم الطب الحديث من فصل الجراحة عن الطب الباطني وعن الصيدلة . وصرف همه كله إلى الطب الباطني ، فألف فيه كتاب (الإقتصاد) وهو دراسة للطب عامة ، وكتب كتاباً آخر في الأغذية والأدوية ، وكتاباً ثالثاً يسمى (التيسير) أهداه إلى ابن رشد ، وهو كتاب تتجلى فيه شخصية ابن زهر بكل وضوح ، ويعتبر خير ما ألف العرب في الطب العملي ، فقد تحرر فيه من كل ما كان يقيده غيره من آراء

(١) طبقات الأطباء ٦٧/٢ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٧١ .

نظرية ، وهو يأخذ فيه بما تؤدي إليه الملاحظة المباشرة ، مفضلاً ذلك على متابعة جالينوس وغيره من القدماء .

وقد توفي أبو مروان بن زهر من نغلة صعبة أصابته وذلك سنة ٥٥٧ هـ وكانت وفاته بمراكش وقد نقل جثمانه إلى أشبيلية حيث دفن في مقبرة بني زهر خارج باب الفتح .

الفصل الثاني

ابن زهر الحفيد

حياته وصفاته وثقافته

أبو بكر بن زهر الحفيد

هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإلادى وهو ينحدر من أصل عربى عريق حيث ينتمى إلى قبيلة إباد .

ولد أبو بكر بن زهر فى مدينة إشبيلية سنة ٥٠٧ هـ منتسباً إلى بيت بنى زهر العريق ، وهو عين ذلك البيت، وإن كانوا كلهم أعياناً من علماء رؤساء وحكام ووزراء ، وقد نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ، وحظوا عند الأمراء ، وتقتدوا بأوامرهم .

وقد انفرد ابن زهر بالإمامة فى علم الطب بعد أن أخذ الصناعة عن أبيه عبد الملك ، وعن جده أبى العلاء زهر بن عبد الملك ، وبرع فى صناعته حتى نال تقدماً وحظوة عند السلاطين وحمل الناس عنه تصانيفه وكان يلقب بشيخ الطب وجالينوس العصر . (١)

وكان أبوه قد تعهده بالرعاية والتوجيه منذ صغره ، وكان أستاذه المباشر فى صناعة الطب ، حتى ليزكر ابن أبى أصيبعة أن أباه ألف كتاب الزينة تذكره إلى ولده أبى بكر فى أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه وذلك فى صغر سنه وأول سفره سافرها ، فتاب عن أبيه فيها ، وله كتاب تذكره ذكر بها لابنه أبى بكر أول ما تعلق بعلاج الأمراض . (٢)

وثمة رواية تشير إلى نبوغه وتفوقه فى صناعة الطب منذ وقت مبكر ،

(١) شذرات الذهب ٣٢٠/٤ .

(٢) طبقات الأطباء ٦٧/٢ .

فقد كتب والده يوماً نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن بن علي ، فلما رآه أبو بكر بن زهر بعد ذلك وكان في حال شببته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء ، ولما رآه أبوه قال : يا أمير المؤمنين إن الصواب في قوله ، وبدل الدواء المفرد بغيره فأنثر نقعاً يئناً . (١)

ولما عرض لأبيه تلك العلة التي أودت بحياته كان يعالجها ويصنع لها مراحم وأدوية ولم تؤثر نقعا يعتد به فكان أبو بكر بن زهر يقول لأبيه :

« يا أباي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني ، ولو زدت من هذا الدواء أو استعملت دواء كذا وكذا ، فكان يقول له يا بني إذا أراد الله تغيير هذه البنية فانه لا يقدر لي أن أستعمل من الأدوية إلا ما يتم به مشيئته وإرادته » . (٢)

ثقافته :

تنوعت ثقافة ابن زهر الحفيد ، فمع أنه انفرد بالإمامة في عام الطب في وقته إلا أنه رزق حظاً وافراً من الآداب واللغة والحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين والمشاركة في سواهما (٣) . وقد وصف بأنه كان حافظاً للقرآن وأنه لم يكن زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة (٤) ، ويقول عنه تلميذه ابن دحية :

« وكان شيخنا الوزير أبو بكر - رحمة الله - بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطلب عذب معين . كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب » (٥)

(١) طبقات الأطباء ٦٨/٢ .

(٢) نفسه ٦٧/٢ .

(٣) التكملة ٥٥٥/٢ .

(٤) طبقات لأطباء ٦٨/٢ .

(٥) المطرب ص ٢٠٣ .

كما حدث بالمقامات عن أبيه عن الحريري (١) .

ولم تقف ثقافته عند هذا الحد ، إذ كان كثير العلوم ، فقد سمع الحديث ، وقيل إنه كان يحفظ صحيح البخاري كله أسانيد ومتوناً (٢) ، وذكر القاضي أبو مروان محمد بن أحمد الباجي من أهل أشبيلية أن أبا بكر بن زهر لازم جده عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه وقرأ عليه كتاب المدونة لسيحون في مذهب مالك ، وقرأ عليه أيضاً . سند بن أبي شية (٣) كما يشتهر بغزارة الحفظ ولا سيما في الشعر . وقد أورد الشقندي رواية تدل على سعة حفظه ، فقال في رسالته :

«وأما علماؤها وشعراؤها - يعني الأندلس - فاني لم أعرض منهم إلا لمن هو في الشهرة كالصباح ، وفي مسير الذكر كسير الرياح ، وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر بن زهر ، وذلك أني كنت يوما بين يديه ، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه ، فقلت له : ما تقول في علماء الأندلس وكتابتهم وشعرائهم ؟

فقال : كبرت ، فلم أفهم مقصده ، وأستبردت ما أتى به ، وفهم مني أبو بكر بن زهر أني نظرت له نظر المستبرد المنكر ، فقال لي ، أقرأت شعر المتنبي ؟ قلت : نعم ، وحفظت جميعه ، قال : فعلى نفسك إذن فلتنكر ، وخطرك بقلة الفهم فلتتهم ، فذكرني بقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

(١) التكملة ٥٥٥/٢ .

(٢) شذرات الذهب ٣٢٠/٤ .

(٣) طبقات الأطباء ٦٨/٢ .

فاعتذرت للخراساني وقلت له : قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغررت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصده « . (١)

ثقافة ابن زهر تنوعت بين الطب والأدب واللغة والحديث والنقح، ولذلك يقال في وصفه : الوزير الطيب الرئيس الأديب النقيه .

صفاته وأخلاقه :

إحتفى أصحاب التراجم بأبي بكر بن زهر وأشادوا بصفاته وأخلاقه ، وقد تحدث ابن أبي أصيبعة عن صفاته الخلقية فوصفه بأنه « كان معتدل القامة ، صحيح البنية ، قوى الأعضاء ، وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حر كانه لم يتبين فيها تغير ، وإنما عرض له في أواخر عمره نفل في السمع » (٢) كما وصف بأنه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي (٣) . كما عرف عنه أنه كان جيد اللعب بالشطرنج جداً . (٤)

وتحدث كتاب التراجم عن أخلاقه وطباعه ، فوصف بأنه « كان ملازماً للأموال الشرعية ، متين الدين ، قوى النفس ، محباً للخير ، وكان مهيباً وله جرأة في الكلام » (٥) . كما كان متواضعا مع شرف نفس وتهذيب خلق . (٦) ووصفه ابن الأبار بأنه كان سمحاً ، جواداً ، تفاعاً بجاهه وبماله ، ممدوحاً

(١) فتح الطيب ٣/٢٢٢ .

(٢) طبقات الأطباء ٢/٦٧-٦٨ .

(٣) نفسه ٢/٦٨ .

(٤) نفسه ٢/٦٨ .

(٥) نفسه ٢/٦٨ .

(٦) المعجب ص ١٤٥ .

من رجال الكمال . (١)

ويحتفظ ابن أبي أصيبعة برواية تدل على ما عرف به ابن زهر من كرم وسخاء ، فيقول إن رجلاً من بنى اليبى كان صديقاً للحفيد أبي بكر بن زهر ، وكان يجالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وأنه كان عند الحفيد أبي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يعمده به من الإنبساط فقال له : ما لخاطرك كأنه مشتغل بشئ . عرفنى ما هو ؟ فقال : نعم إن لى بنتاً زوجها لرجل ، وهو يطلبها ، وقد احتجت إلى ثلثمائة دينار . فقال له : العب وما عليك ، فإن عندى فى وقتنا هذا ثلثمائة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها فأهب معه ساعة واستدعى بالذهب وأعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ما اقترضه منه فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : إننى بعث زيتوناً لى بسبعمائة دينار وقد أتيت منها بثلثمائة دينار إلا خمسة عوض الذى تفضلت به على وأقرضتنى إياه وقد بقى عندى حاصلها أربعمائة دينار ، فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك وانتفع به ، فأننى مادفعت لك الذهب على أنى أعود آخذه أبداً ، فأبى الرجل ، وتناوضاً فى ذلك ، فقال له ابن زهر : يا هذا أنت صديقى أو عدوى ؟ فقال له : بل صديقك وأحب الناس فىك ، فقال : إن الصديقين ما لهما شئ واحد ، فمتى احتاج أحدهما إلى شئ منه تناوله فلم يقبل الرجل ، فقال له ابن زهر : والله لئن لم تأخذه لأعاديك بسببه ولا أعود أكلملك أبداً ، فأخذه منه وشكره على فعله » (٢)

ونمة رواية أخرى تدل على ما عهد فى ابن زهر من كرم النفس ، ونبل

(١) التكملة ٥٥٥/٢ .

(٢) طبقات الأطباء ٢ ، ٦٨ - ٦٩ .

الخلق حتى مع أشد الناس عداوة له ، فقد ذكر الشقندي أن أبا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ ابى بكر ابن الجند عداوة مفرطة للتنافس في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية ، فأجرى ابن زهر يوماً ذكره في جماعة من أصحابه وقال : لقد آذانا هذا الرجل أشد أذية ، ولم يقصر في القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم ، فقال له أحمد عوامهم : إني أذكر لك عليه عقداً فيه مخاصمه في موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في الزكاية أشد مبلغ ، فخرج ابن زهر ، وأظهر الغضب الشديد والإنكار لذلك ، وقال لو كيله : أمثلي يجازى على العداوة بما يجازى به السفلى والأوباش ؟ وإني أجعل ابن الجند في حل من موضع الخصام ، وأمر بأن يحمل له العقد ، ثم قال : وإني والله ما أروم بذلك أن أصالحه ، فإن عداوته من حسد ، وأنا أسأل الله تعالى أن يديها لأنها مقترنة بدوام نعم الله على (١).

وكان لوالد ابن زهر أثر كبير في تنشئته وتربيته تربية صالحة . وثمة رواية يحتفظ بها صاحب المعجب تشير إلى هذا الدور الذي سلكه الأب في تنشئة ابنه ، وقد جاءت الرواية على لسان ابن زهر نفسه ، فقال : « بينما أنا قاعد في دهليز دارنا وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لى كتاب الأغاني ، فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها ، فقلت له : أين الأصل الذي كتبت منه لأقابل معك به ؟ قال : ما أتيت به ، فبينما أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بذ الهيئة ، عليه ثياب غليظة أكثرها صوف ، وعلى رأسه عمامة قد لائها

من غير إتيان لها ، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية ، فسلم وقعد وقال
 لى يا بنى ، استأذن لى على الوزير أبى مروان (يعنى والده) فقلت له : هونأثم هذا
 بعد أن تكافأت جوابه غاية التكلف هملنى ، على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من
 خشونة هيئة الرجل ، ثم سكت عنى ساعة ، وقال : ما هذا الكتاب الذى
 بأيديكما ؟ فقلت له : ما سؤالك عنه ؟ فقال : أحب أن أعرف اسمه ، فانى كنت
 أعرف أسماء الكتب ! فقلت : هو كتاب الأغاني ، فقال : إلى أين بلغ الكاتب
 منه ؟ قلت : بلغ موضع كذا ، وجعأت أتحدث معه على طريق السخرية به
 والضحك على قالبه ، فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبت منه الأصل
 الذى يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق ، فقال : لم أجيء به معى ، فقال :
 يا بنى خذ كراريسك وعارض ، قلت : بماذا ؟ وأين الأصل ؟ قال : كنت
 أحفظ هذا الكتاب فى مدة صباى ، قال : فتبسمت من قوله ، فلما رأى تبسمى
 قال : يا بنى أمسك على ، قال : فأمسكت عليه ، وجعل يقرأ ، فوالله إن
 أخطأ واوا ولا فاء ، قرأ هكذا نحواً من كراستين ثم أخذت له فى وسط
 السفر وآخره ، فرأيت حفظه فى ذلك كله سواء فاشتد عجبى ، وقت مسرعاً
 حتى دخلت على أبى فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل ، فقام كما هو من فوره
 وكان ملتفاً برداء ليس عليه قميص ، وخرج حاسر الرأس ، حافى القدمين ،
 لا يرفق على نفسه ، وأنا بين يديه ، وهو يوسعنى لوماً ، حتى ترامى على الرجل
 وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول : يا مولائى أعذرنى ، فوالله ما أعلمنى
 هذا الجلف إلا الساعة ، وجعل يسبنى ، والرجل يخفض عليه ويقول : ما
 عرفنى ، وأبى يقول : هبه ما عرذك ، فما عذره فى حسن الأدب . ثم أدخله
 الدار وأكرم مجلسه وخلابه فتحدثا طويلاً ، ثم خرج الرجل وأبى بين يديه
 حافياً حتى بلغ الباب ، وأمر بدابته التى يركبها فأسرجت ، وحلف عليه ليركبها

ثم لا ترجع إليه أبداً . فلما انفصل قلت لأبي : من هذا الرجل الذى عظمته
هذه الأعظم ؟ قال لى : اسكت ويحك ! هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها
فى علم الآداب . هذا أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، أيسر محفوظاته كتاب
الأغاني ، وما حفظه فى ذكاه خاطره وجودة قريحته ؟ » (١) .

أرأيت كيف أنحى الأب باللائمة على ابنه لأنه لم يحسن استقبال الرجل ؟
وكيف كان احتفاؤه وترحيبه به ؟ وبمثل هذا السلوك القويم ، والخلق
الكريم ، سار أبو بكر بن زهر الحفيد على نهج أبيه .

وتشير إحدى الروايات إلى أن الأب كان يتابع جهود ابنه فى مجالات
الأدب ، فكان يستمع إلى ما ينظمه من موشحات ، وعندما سمع موشحة ابن
زهر التى يقول فيها :

وفده بأبى ثم بى

علق عليها بما يشير إلى خفة ظله ، وميله إلى النكتة والنادرة فقال : « يفديه
بالمعجوز السوء أمه ، وأما أنا فلا ... ؟ ! » (٢) .

صالة :

حظى ابن زهر الحفيد بمنزلة رفيعة عند حكام الأندلس وبين الأندلسيين
عامه ، فقد آلت إليه رئاسة بلده وكان لا يعد له أحد من رجال الأندلس فى
الخطوة عند الأمراء » (٣) .

(١) المعجب ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٢) تنح الطيب ٤٦٨/٣ .

(٣) التكملة ٢/ص ٥٥٥ .

وقد أدرك ابن زهر دولة المرابطين، واستمر في الخدمة مع أبيه حتى انتهت دولتهم ، فاتصلا بالموحدين حتى مات أبوه في خلافة عبد المؤمن بينما ظل هو في خدمتهم فخدم عبد المؤمن ثم خدم من أبنائه : أبا يعقوب يوسف ثم ابنه يعقوب المنصور ثم ابنه الناصر .

وقد أبلى ابن زهر بلاء حسناً في خدمة الموحدين ولم تقف خدماته عند الاشتغال بالطب وحده بل امتدت لتشمل مجالات أخرى وتشير بعض الأخبار إلى مشاركته في الحياة العملية ، فيذكر ابن صاحب الصلاة أن الموحدين قد عهدوا بالإشراف على فنون جامع أشبيلية للطبيب ابن زهر (١) ، وعند ما شيد الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي الجامع الأعظم بأشبيلية الذي يعد أعظم منشآته ، كان من الحفاظ على البناء من أهل أشبيلية أبو بكر ابن زهر ، وأبو بكر الساقى (٢) .

وعندما جاز المنصور البحر ، لخوض معركة الأرك ، وصل إلى أشبيلية ، ونزل بقصر البحيرة خارج باب جهور ، عهد إلى أبي بكر بن زهر وزملائه أشياخ المدينة بانزال الأشياخ والأكابر في الدور المعدة لزوهم (٣) .

وقد حظى ابن زهر بمكانة رفيعة عند يعقوب المنصور ، فكان يعهد إليه بتصريف كثير من أمور الدولة . وكان يقدره ويثق به ويحرص على أن

(١) ابن بالإمامة ص ٦٦ .

(٢) عصر المرابطين والوجوديين في المغرب والأندلس تأليف محمد عبد الله عنان القسم الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨ - ١٩٩ .

يكون بصحبته في حله وترحاله ، فكان يقضى وقته كله بمراكش حاضرة الخلافة وحدث أن تشوق إلى ولده الصغير الذى يقطن مع أسرته بأشبيلية فقال هذه الأبيات (١) .

ولى واحد مثل فرخ القطاة	صغ—ير تخلت قلبى لديه
أحن إليه في—او حشنى	لذاك الشيخى وذاك الوجيه
تش—وقنى وتش—وقته	فيكى على وأبكى عليه—
وقد تعب الشوق ما يندنا	فنه إلى وم—نى إليه

ولما سمع المنصور هذه الأبيات ، أرسل المهندسين إلى أشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ، ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة ، وفرشها بمثل فرشها ، وجعل فيها مثل آلاته ، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه إلى تلك الدار ، ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع ، فرآه أشبه شئ ببنيته وحارته ، فاحتار لذلك ، وظن أنه نائم ، وأن ذلك أحلام ، فقيل له : أدخل البيت الذى يشبه بيتك ، فدخله ، فاذا ولده الذى تشوق إليه يلعب فى البيت فسر بذلك سروراً عظيماً (٢) .

وثمة رواية أخرى تؤكد تلك المنزلة الرفيعة التى حظى بها ابن زهر الحفيد عند المنصور الموحدى ، فعند ما شن المنصور حملة عنيفة على كتب المنطق والفلسفة ، وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار ، وشدد على المشتغلين بها وهدد

(١) زاد المسافر ٧١ - ٧٢ ، اوراق بالوفيات ٣٩/٤ .

(٢) نفع الطيب ٢٤٩/٢ .

بأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم ، ولما شرع في ذلك أسند هذه المهمة إلى الحفيد أبي بكر بن زهر وأنه الذي يتولى النظر فيه ، وتقول الرواية التي جاءت على لسان القاضي أبي مروان الباجي إن المنصور « أراد من ذلك أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ولا يقال عنه إنه يشتغل بها ولا يناله مكروه بسببها ، ولما نظر ابن زهر في ذلك وامتلأ ، أمر المنصور بجمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم وأن لا يبقى شيء منها وإهانة المشتغلين بها وكان بأشبيلية رجل من أعيانها يعادى الحفيد أبا بكر بن زهر فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الإشتغال بهذا الفن والنظر فيه وأن عنده في داره شيئاً كثيراً من كتبه وجمع فيه شهادات عدة وبعث به إلى المنصور وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج ، وهو موضع بناء قريبا من اشبيلية على مياين منها صحيح الهواء ، بحيث بقيت الخنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته ، وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يبنيه في ذلك الموضع ويقم فيه في بعض الأوقات ، فلما كان المنصور به وقد أتاه المحضر نظره ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله وأن يودع السجن ففعل به ذلك وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه ثم قال المنصور إنني لم أول ابن زهر في هذا إلا حتى لا ينسبه أحد إلى شيء منه ولا يقال عنه ، ووالله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم لما أعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله » (١) .

وظل ابن زهر يحظى بهذا التقدير عند الملوك والأمراء حتى بعد وفاته ،
فحينئذى ابن الحفيد أبو محمد عبد الله بالخليفة الناصر بالمهدية بعد فتحها ،
قال له : إئتني يا أمير المؤمنين بحمد الله بكل خير من إنعامكم وإحسانكم على
وعلى آبائي ، وقد وصل إلى مما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي
وأكثر ، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي ، وأن أجلس في الموضع
الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين ، فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً
وأطلق له من الأموال والنعيم ما يفوق الوصف . وكان مجلسه إذا حضر قريباً
منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد . فكانت يجلس إلى جانب
الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي حجاج القاضي ،
وكان يجلس تلوه القاضي الشريف أبو عبد الله الحسيني ، وكان يجلس تلوه
أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبو بكر بن زهر ، وكان يجلس إلى جانبه أبو
موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المشهورة في النحو
المعروفة بالجزولية وكان هذا في النحو يشتغل عليه أبو محمد عبد الله بن
الحفيد ويجلس بين يديه ويتعلم منه (١) .

تلاميذه ومؤلفاته :

كان ابن زهر الحفيد ذا حظ وافر من اللغة والأدب ، وقد أخذ عنه بعض
المشاهير مثل أبي علي الشلوبين (٢) وابن دحية صاحب « المطرب » وهو من
أجل تلاميذه وقد صحب ابن دحية شيخه ابن زهر زمناً طويلاً واستفاد
منه أدباً وعلماً جليلاً واستجازه في جميع تصانيفه وتصانيف أسلافه (٣) .

(١) طبقات الأطباء ٧٤/٢ .

(٢) التكملة ٥٥٥/٢ .

(٣) المطرب ص ٢٠٧ .

وقد روى ابن رشيد في رحلته قصة اللقاء الأول بين ابن دحية وشيخه ابن زهر فقال إن ابن دحية دخل إلى أشبيلية قادماً من بلنسية فجاء إلى جامع العديس بها ، قال ابن دحية : « فجاءني رجل فسألني : من أين جئت ؟ قلت : رحلت من بلنسية في طلب علو الرواية في الحديث فقال هل تذكر شيئاً في اللغة ؟ فقلت : هي بضاعتى . فقال ابن زهر : ما اسم البصل في لغة العرب ؟ فقلت : الدوفص فقال : وما شاهده ؟ فقلت له : قال الحجاج لطاهيه : أطبخ لنا عربريه (١) وأكثر دوفصها . قال : فوله عنى ثم أقبل ومعه مملوك يده سبينة (٢) بثياب وقرطاس فيه مائة دينار فدفعتها إلى وقال : استعن به - هذا على طلب العلم . ثم قال : أنا ابن زهر ألفت كتاباً في الطب ذكرت فيه جميع الأعشاب بجميع الأسماء ، وعجزت عن اسم آخر للبصل بالعربية ، فلآن قد تم الكتاب ، ثم قال : هذا قليل في حق مسألة من العلم » (٣).

وهذه الرواية تدل على تواضع ابن زهر وتقديره للعلم ، ويحفظ ابن أبي أصيبعة برواية تشير إلى الطريقة المثلى التي كان ينتهجها ابن زهر في تعليم تلاميذه ، فيذكر أنه قد أتى إليه اثنان من الطلبة ليشتغلا عليه بصناعة الطب ، فترددا إليه ولازماء مدة وقرأ عليه شيئاً من كتب الطب ثم إنهما أتياه يوماً وييد أحدهما كتاب صغير في المنطق ، وكان يحضر معها أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم أن يشتغلوا فيه ، فلما نظرا ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم أخذه ينظر فيه ، فلما وجده في علم المنطق رمى

(١) العربوب : حب السباق ، نوع من الشجر حامض الطعم .

(٢) السبينة : المندبل في كدوة .

(٣) النبوغ المغربي في الأدب العربي - تأليف عبد الله كنون ١٢٧/١ .

به ناحية ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم وانهزموا قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه أياماً لا يجسرون أن يأتوا إليه ، ثم إنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم فيه غرض أصلاً وأنهم إنما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزؤا بصاحبه وعبثوا به وأخذوا منه الكتاب قهراً وبقي معهم ودخلوا إليه وهم ساهون عنه فتخادع لهم وقبل معذرتهم ، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب . ولما كان بعد مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والإقتداء بها ، ولا يخلو بشيء من ذلك ، فلما امتثلوا أمره واتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها كانوا يوماً عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق وقال لهم : الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله على وأشغالهم فيه (١).

وكان لابن زهر تصانيف حملها الناس عنه ومن تصانيفه في الطب رسالة في « طب العيون » و « الترياق الخمسيني الذي ألقه للمنصور الموحدى » (٢).
وفاته :

أغلب من ترجعوا لابن زهر يجمعون على أن وفاته كانت سنة ٥٩٥ هـ فيما عدا ابن أبي أصيبعة الذي يذكر أن وفاته كانت سنة ٥٩٦ هـ (٣).

(١) طبقات الأطباء ٦٩/٢ - ٧٠ .

(٢) نقس ٦٨/٢ .

(٣) نقس ٦٨/٢ .

وقد انفرد ابن أبي أصيبعة برواية تحكى قصة وفاة ابن زهر الحفيد فذكر أن أبا زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور كان يعادى الحفيد أبا بكر ابن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه في سم صيره مع أحد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه إليه في بيض وكانت مع الحفيد أيضاً بنت أخته فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت أخته ماتا جميعاً ولم ينفع فيهما علاج ، وتضيف الرواية أن ابن يوجان لم يمت إلا مقتولاً إذ قتله بعض أقاربه (١) .

أبناءؤه :

لانعرف لابن زهر الحفيد إلا ولداً واحداً هو أبو محمد عبد الله الذي سبق أن أشرنا إلى المكانة التي احتلها عند الناصر بعد وفاة والده .

وقد وصف أبو محمد هذا بأنه « كان جيد الفطرة ، حسن الرأي ، جميل الصورة ، مفرط الذكاء ، محمود الطريقة ، محباً للبس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها ، واشتغل على والده ووقفه على كثير من أسرار علم هذه الصناعة وعملها ، وقرأ كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري على أبيه وأتقن معرفته . وكان الخليفة محمد الناصر يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه ويؤتته » (٢) .

وقد ولد أبو محمد بن الحفيد سنة ٥٧٧هـ بمدينة اشبيلية ، ويقال إنه توفي مسموماً مثل والده في سنة ٦٠٢هـ في مدينة سلا ودفن بها وكان متوجهاً إلى مراکش فاخترمه الأجل دونها ثم حمل من الموضع الذي دفن فيه إلى اشبيلية

(١) تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٠

(٢) تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٠

(١) طبقات الأطباء ٧٠/٢ .

(٢) نفسه ٧٤/٢ .

ودفن عند آيائه بأشبيلية خارج باب الفتح فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة (١)

وقد أنجب أبو محمد ولدين أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك ، والآخر أبا العلاء محمد الذي اعتنى بصناعة الطب وكان له نظر جيد في كتب جالينوس . وقد أقاما في أشبيلية حتى وفاتهما (٢) .

(١) طبقات الاطباء ، ٧٤/٢ - ٧٥ .

(٢) نفسه ، ٧٥/٢ .

الفصل الثالث

موشحات ابن زهر

المضمون

لهديد :

يتفق المؤرخون على أن الموشحات فن ولد وتخلق في بيئة الأندلس ، فابن بسام يذكر أن أهل الأندلس « هم الذين نهجوا طريقتها ، ووضعوا حقيقتها »^(١). ويصف ابن دحية الموشحات بأنها « من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق »^(٢). ويقول ابن خاتمة في كتابه « مزية المربة » نقلاً عن أزهار الرياض « وهذه الطريقة - أي الموشحات - من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالنفس. وهم الذين نهجوا سبيلها ووضعوا محصولها »^(٣).

ويؤكد ابن خلدون هذه الحقيقة فيقول : « وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر في قطرم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التعميق فيه الغاية ، استحدثت المتأخرون منهم فناً ، سموه بالموشح »^(٤).

وتتردد هذه الحقيقة أيضاً في كتابات المشاركة ، فابن سناء الملك يصف الموشحات بأنها « مما ترك الأول للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق »^(٥). ويقول المحبي « إن أول من نظم الموشح المغاربة »^(٦).

(١) الذخيرة ق ١ م ٢ ص ١ .

(٢) المطرب ص ٢٠٤ .

(٣) أزهار الرياض ٢/١٢٣ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٣ ط . بولاق .

(٥) دار الطراز ص ٢٣ .

(٦) خلاصة الأثر ١/١٠٨ .

وقد آثرنا أن نورد هذه الآراء كلها لأن موشحة ابن زهر التي يقول
في مطلعها : (١) .

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

هذه الموشحة نسبت خطأ إلى ابن المعتز (ت ٢٩٥ هـ) وخطورة هذا الموضوع أن بعض الباحثين زعموا أن ابن المعتز هو أول من ابتكر الموشحات وأن هذا الفن نشأ أولاً في المشرق ثم انتقل إلى الأندلس . ومن وقعوا في الوهم المرحوم كامل كيلاني ، فهو يقول : (٢) « لو لم يخترع الأندلسيون هذا الفن المسمى بالموشحات لاخترعه الشرقيون ، فقد كان حتماً أن يؤدي الغناء ومجالسه في المشرق إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها في الأندلس . . . وفي موشحة ابن المعتز الرائعة . . . أكبر دليل على صحة ما نقول ، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة في القرن الثالث ، أي في نفس القرن الذي اخترع فيه مقدم بن معافر القبري (٣) موشحاته في الأندلس . . . ولعل أغرب ما تذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخي الأدب جميعاً ذكر هذه الموشحة التي التي قالها ابن المعتز ، كأن هذا الحدث الجلل الذي ترك أوضح الأثر في البلاغة العربية أقل خطراً من اهتمام ابن المعتز بالمحسنات البديعية » .

وينساق د صفاء خلوصي وراء هذه الفكرة الخاطئة فيقول : (٤) « ونحن

(١) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

(٢) نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) كذا في الأصل ، وصوابها مقدم بن معافر القبري .

(٤) فن التقطيع الشعري والقافية ، تأليف د. صلاح خلوصي ، ٣٠٢ .

من يعتقدون بأنه - أى الموشح - فن نشأ فى المشرق ، ولكنه تطور فى المغرب ، وبلغ ذروته فى القرنين السابع والثامن للهجرة ، وباعتقادنا أنه ظهر أول مظهر فى العراق ، وأن أول موشحة فى تاريخ الأدب العربى هى موشحة « أيها الساقى ... » وفيها كما يرى الفاحص المدقق - نفس أمير ، وإبداع رجل متفنن .

وقد تصدى نفر من الباحثين للرد على هذه المسألة وتفنيد ما أثير حولها من مزاعم وشكوك ، نذكر منهم د. أحمد هيكل (١) ، عباس الجرارى (٢) ، د. محمد عبد المنعم خفاجى (٣) ، بطرس البستاني (٤) وغيرهم .

والواقع أن جميع الأدلة تؤكد أن موشح « أيها الساقى » لابن زهر وليس لابن المعتز ، فقد أجمعت مصادر عديدة - أندلسية ومشرقية - على نسبة هذه الموشحة لابن زهر ، فقد نسبها له تلميذه ابن دحية (٥) ، وابن سعيد (٦) ، وابن الخطيب (٧) ، والصفدى (٨) ، وياقوت الحموى (٩) ، وابن أبى

(١) الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ١٥٢ .

(٢) موشحات مغربية ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ص ١٧٧ .

(٤) أدباء العرب فى الأندلس وعصر الانبعاث ص ٧٦-٧٧ .

(٥) المطرب ص ٢٠٤ .

(٦) المغرب ١/٢٦٧ .

(٧) جيش التوشيح ص ٢٠٢ .

(٨) الواقى بالوحيات ٤/٢٠ .

(٩) معجم الأدباء ٧/٢٢ .

أصبيغة^(١) والنواجي^(٢) ، كما ذكرها ابن سناء الملك في جملة ما اختاره من موشحات أهل الأندلس ، وإن كان لم ينسبها إلى قائل بعينه جرياً على طريقته في عدم ذكر أصحاب الموشحات^(٣) .

ومما يؤكد نسبة هذه الموشحة لابن زهر اتفاق المؤرخين على أن الموشحات فن أندلسي خالص . ولا يوجد أحد ممن ترجم لابن المعتز من القدماء ذكر أنه كان وشاحاً ، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يكثر منه ابن المعتز ، ولماذا يكون هو المشرقي الوحيد الذي يتفرد بهذا الفن دون أن يشاركه غيره من المشاركة فيه ؟

وفضلاً عما ذكرنا فإن موشحة « أيها الساقى » تحمل روح ابن زهر ، وتمثل خصائص فنه ، فلا يشك من يطالع موشحاته بأنه صاحب هذه الموشحة بينما لا تحمل هذه الموشحة شيئاً من سمات فن ابن المعتز ، وقد لاحظ ذلك د. خفاجي فقال : (٤) « وفي رأبي أن هذه الموشحة ليست لابن المعتز لأنها بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئاً من نظراته في الحياة ولا فنه الأدبي في نظم القريض ، وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها ، وليس فيها شيء من خصائص فنه في الشعر . وعندما تقرأها تجد أنك انتقلت إلى جو بعيد عن جو ابن المعتز الأدبي وسماته الفنية مما يجعلنا نحكم أنها ليست له

(١) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

(٢) عقود اللال ووقته هـ ظ (مخطوط الاسكوريال) .

(٣) دار الطراز ص ٧٣ .

(٤) ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ص ١٧٧ .

وإنما نسبت إليه خطأ . وسمات الروح الأندلسية أظهر على هذه اللوحة من أى روح أخرى » .

وهناك دليل آخر يضاف إلى ما ذكرناه وهو أن موشحة ابن زهر تسير على نمط موشحة أخرى لابن بلي (ت ٥٢٥ هـ) وتتشابه معها في المعنى والوزن وقوافي الأفعال ، ويبدو أن ابن زهر كان يعارض ابن بلي الذى يقول فى مطلع موشحته (١) :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعى

فعارضه ابن زهر لابن بلي الذى توفى قبله بسبعين عاما دليل آخر يؤكد أن ابن زهر صاحب هذه الموشحة .

ولكن كيف تسلمت هذه الموشحة إلى ديوان ابن المعتز ؟

لقد حقق الديوان المطبوع عن نسخة كانت توجد بالمكتبة الخديوية ، وهى نسخة غير موثقة فيما أظن ، ويبدو أنها كانت ضمن مجموعة من المؤلفات الأخرى التى تضم مجموعات شعرية فتنسرت ورقة منها إلى ديوان ابن المعتز ، أو لعل وجودها فى ديوان ابن المعتز كان سهواً أو تدليساً من ناسخ الديوان (٢) .

(١) ديوان الموشحات، الأندلسية ٤٨٣/١ .

(٢) يذكر د. الجرارى أنه وقف فى المكتبة الملكية بالرباط على نسخة ثانية من ديوان ابن المعتز لا توجد بها الموشحة المذكورة . وهى مكتوبة بخط مشرق ومؤرخة فى سنة خمسة عشر وألف وعليها تملك باسم خليل فى سنة ١١٩١ م .
أنظر (موشحات مغربية) ص ٤٦ (هامش) .

وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أن الموشح فن أندلسي ، فإنهم اختلفوا في تحديد أول من اخترع الموشح ، فابن بسام يقول : (١) « أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا ، واخترع طريقتها - فيما بلغنى - محمد ابن محمود القبرى الضرير . وقيل إن أبا عمر أحمد بن عبد ربه - صاحب كتاب العقد - أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا » .

أما الحجارى الذى كان معاصراً لابن بسام فيقول : (٢) « وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس ، مقدم بن معافى القبرى ، من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ عنه ذلك أحمد بن عبد ربه - صاحب كتاب العقد - ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتها » .

وإذا كانت الروايتان مختلفتان في البادىء باختراع الموشح - فهو مقدم ابن معافى أم محمد بن محمود وهما على أية حال من بليدة واحدة هي قبرة - فإنها تتفقان في أن ابن عبد ربه - صاحب كتاب العقد - أخذ عنها هذا الفن وقلدها فيه ، والغريب أن يتردد اسم ابن عبد ربه عند اثنين من المؤرخين الثقات على أنه أحد الوشاحين الأوائل الذين نظموا في هذا الفن بينما ينحلو كتابه - العقد - من أية إشارات إلى هذا الفن أو إلى دوره في ابتكار الموشح وإن كنا نستطيع أن نعلل هذه المسألة بأن كتاب العقد لا يهتم إلا بأدب المشرق وأخباره ، وقد يكون ابن عبد ربه ممن أسهموا فعلاً في ابتكار هذا الفن ولكنه تخرج من ذكره أو إيراده خوفاً من انتقاد أصحاب

(١) الذخيرة ق ١٢١ ص ٤٦٩ .

(٢) المقتطف ١٥٠ .

التيار التقليدي المحافظ الذين كانوا ينظرون بازدراء إلى هذا الفن الجديد بدليل أن ابن بسام أبى أن يدرج شيئاً من الموشحات في كتابه « الذخيرة » مع اعترافه بأنها « أوزان تشق على مماعها مصونات الجيوب بل القلوب » (١) ومع ذلك فإن اهتمام ابن عبدربه الواضح بعلم العروض في كتابه - العقد - وحديثه عن الدوائر والأببحر المستعملة والمهملة وعن الزحافات والعلل مما يمكن أن ينظر إليه في إطار ما وصفه به ابن بسام والحجاري من أنه قلد الوشاح الأول في هذا الفن .

وعلى أية حال فإن هؤلاء الوشاحين الثلاثة - مقدم ومحمد بن محمود وابن عبدربه - قد عاشوا في حقبة واحدة وكانوا جميعاً من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني (٢٧٥ - ٣٠٠) أى أنهم تعاصروا في أواخر القرن الثالث الهجرى ، وتلك هى الفترة التى نشأ فيها فن الموشحات .

ولكن ما هى الأسباب التى مهدت لإظهار هذا الفن الجديد ؟ إن فريقاً من الباحثين يرى أن الموشحات « ما هى إلا تقليد لشعر غنائى عجمى » (٢) . ويؤيد هذه النظرية بعض الباحثين الإسبان أمثال خوليان ريبيرا ومنديث بيدال ، وجارثيا جومث وغيرهم (٣) ، كما يؤيدها بعض الباحثين العرب أمثال د . مصطفى عوض الكريم (٤) ، وبطرس البستاني (٥) وغيرهما .

(١) الذخيرة ق ١٠١ ص ٤٦٩ .

(٢) فن التوشيح تأليف د . مصطفى عوض الكريم ص ١٠٧ .

(٣) نفسه ص ١٠٧ وما بعدها .

(٤) نفسه ص ١٠٩ .

(٥) أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ص ٨٠ وما بعدها .

وتقوم نظرية هؤلاء الباحثين على عدة حجج نجملها فيما يلي :

(١) إن الوشاحين الأندلسيين عندما قلّدوا الشعر الغنائى العجمى، وحاولوا النظم على منواله ، لم يكونوا هم وحدهم الذين فعلوا ذلك ، وإنما شاركهم فى هذه الناحية يهود الأندلس عندما نظموا موشحات تشابه الموشحات العربية ولا سيما فى التزامها للخرجة الأعجمية (١) ، ويرى جارتيا جومث أن وجود خرجة واحدة فى موشحة عربية وفى أخرى عبرية فى قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين يؤيد ما ذهب إليه من أن هذه المخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانسية التى كانت معروفة من قبل - أى قبل تضمينها فى الموشحات العربية والعبرية ، ويرى أن الموشحات بنيت على أساس من هذه الأغاني (٢) .

(٢) ومما يدل على أن الموشح أخذت فكرته من أغان أعجمية فى - رأى هؤلاء الباحثين - عدم استطاعة المشاركة مجاراته إلا بتكلف شديد كما لاحظ ذلك ابن خلدون، وكما اعترف المشاركة أنفسهم ، فلو كانت الموشحات تطويراً للتقنية أو للاوزان أو للأغاني المشرقية لاستطاع المشاركة أن يجاروا الأندلسيين وأن يذوهم فى هذا الفن . (٣)

(٣) يرى هؤلاء الباحثون أن ازداره أنصار الشعر التقليدى والعلماء للموشحات وترفعهم عن إيرادها فى مؤلفاتهم كما فعل ابن بسام وابن عبدربه وعبد

(١) فى التوشيح ص ١٠٩ .

(٢) نفسه ص ١٠٩ .

(٣) منه الترشيح ص ١١٠ - ١١١ .

الواحد المراكشي دليل على أن هذه الموشحات لا ترجع في نشأتها إلى أصل عربي .

(٤) يستدل أصحاب هذه النظرية على ما يرونه من أن الموشحات بنيت على أنغام عجمية كانت معروفة من قبل بدليل آخر وهو أن أوزان هذه الموشحات المستحدثة خارجة على أعاريض الخليل حسب زعمهم (١) .

وقد أجهد هؤلاء الباحثون أنفسهم في التعرف على مصدر هذه الأغاني القديمة التي رأوا أن الوشاحين تأثروا بها ، فذهب بعضهم إلى أنها تعود إلى أصول رومانية بعيدة (٢) ، وذهب آخرون إلى أن مصدرها جليقي حيث أن أكثر البيوت الأندلسية كانت تغنم نساء من جليقية ، لأنهن عرفن أكثر من غيرهن بالجمال ، وكثير من المزايا الآخر ، وإن هؤلاء الجليقيات كن يغنين بلغتهن في الحفلات ، ويهددن أطفالهن في المنازل ، ويسرين عن أنفسهن في ساعات العمل ، فمن الممكن أن تكون الموشحات الأولى قد تأثرت ببعض الأغاني الجليقية القديمة (٣) بل لقد ذهب أحد الباحثين الإسبان إلى أن بعض الأناشيد الدينية اليهودية مثل « البزمون Pizmon » كانت مصدر وحى لمخترع الموشحات . (٤)

والواقع أن هذه الآراء قابلة للجدل والمناقشة ، فلاحتجاج الأول الذي يستدل بمشركة الموشحات العبرية للموشحات العربية في الخرجة الأعجمية

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٥٤ .

(٢) Julian Ribera ; Dtsertacions Y opuscios Vol. 1٠

نقل من د. أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي ، ص ١٤٨ .

(٣) الأدب الأندلسي ، د. أحمد هيكل ص ١٤٩ .

احتجاج ضعيف لأنه من الثابت لدى الباحثين أن الموشحات العربية نشأت في مرحلة تالية للموشحات العربية وكانت تقليداً كاملاً لها في المضمون والشكل (١) بل إن القول بأن الموشحات تأثرت ببعض الأغاني الرومانسية أمر لا نطمئن إليه لأنه لا يوجد بين أيدي الباحثين شيء من هذه الأغاني يمكن الاستدلال به على تأثر الوشاحين بها (٢) .

أما موقف بعض العلماء المحافظين من الموشحات ، وتخرجهم من إيرادها في كتبهم فليس دليلاً على أن هذه الموشحات نشأت نشأة أعجمية لأن موقفهم هذا يمثل الصراع بين القديم والجديد ، وتلك قضية معروفة في كل عصر ، فقد نظر هؤلاء العلماء للموشحات على أنها خروج على التقاليد الأدبية المتوارثة ، وهكذا شأن كل جديد إذ يقف منه المحافظون موقفاً يتسم بالتوجس والتردد .

أما القول بأن الموشحات خارجة على العروض العربي فهو احتجاج ساقط لأن كل محاولات التجديد التي قام بها الوشاحون كانت في إطار العروض العربي (٣) بل إن الموشحات الأندلسية المختومة بـ « نـجـرـجـات » أعجمية أو عامية لم تنظم على أوزان الشعر الأسباني ، وإنما نظمت على أوزان عربية ، أو على أوزان مولدة من العروض العربي ، شأن الموشحات المختومة بـ « نـجـرـجـات » معربة » . (٤)

(١) الادب الاندلسي ، د. مصطفى الشكعة ص ٣٨٥ .

(٢) الادب الاندلسي ، أحمد هيكل ١٤٨ .

(٣) أنظر في ذلك كتاب « في أصول التوشيح » للدكتور سيد غازي ص ٣٦

وما بعدها .

(٤) في أصول التوشيح ص ٤٣-٤٤ .

ونحن نميل إلى النظرية الأخرى التي يرى أصحابها أن الموشحات نشأت متأثرة بالأنماط العربية الوافدة من المشرق كالمسقطات والمخمسات ثم مضت بعد ذلك تتطور في بنائها. ويتزعم هذه النظرية نفر من المستشرقين أمثال نيكل (١)، وهارتمان (٢)، كما يؤيدها فريق من الباحثين العرب أمثال د. شوقي ضيف (٣)، د. سيد غازي (٤)، د. مصطفى الشكعة (٥) وغيرهم.

ولكننا لانعد هذا المؤثر المشرقى هو السبب الوحيد لابتكار الموشحات بل نضيف إليه أسباباً أخرى تتصل في معظمها بالبيئة الأندلسية والمؤثرات الأندلسية المحلية، فقد كان لازدهار الغناء والموسيقى وتطورهما على أيدي زرياب وتلاميذه أثر لا ينكر في ابتكار هذا الفن كما نتفق مع أستاذنا د. هيكل في أن مخترعى الموشحات إنما أفادوا من أغنيات أندلسية محلية، واستوحوا بعض الأغاني الأندلسية الشعبية التي لم يسجلها المؤرخون، ويؤيد هذا أن العادة جرت بين الوشاحين على أن يهدوا للخرجات بمثل قولهم «غنت» (٦).

وهذه المؤثرات الأندلسية المحلية التي تأثر بها وشاحو الأندلس تفسر السبب في نشأة الموشحات في الأندلس بالذات قبل المشرق، كما تفسر لنا تكلف المشاركة في نظم الموشحات وعدم مجاراتهم للأندلسيين في هذا الجانب، وقد

(١) فن التوشيح ص ١٠٩ .

(٢) عن الرجل في الاندلس تأليف الدكتور عبد العزيز الأهواني ص ٥ .

(٣) مقدمة فن التوشيح ص ٨ .

(٤) في أصول التوشيح ص ٣٧ .

(٥) الأدب الأندلسي تأليف د. الشكعة ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٦) الأدب الأندلسي تأليف د. أحمد هيكل ص ١٤٩ .

تنبه ابن سناء الملك لهذه الحقيقة عندما قال : (١) « وكيفما كان لموشحاتى تكون لتلك الموشحات (الأندلسية) كظلمها وخيالها ، وأشهد أنها ناقصة عن قدر كمالها .. واعدز أخاك فإنه لم يولد بالأندلس ولانشأ بالمغرب ، ولا سكن بأشبيلية ، ولا أرسى على مرسية » .

فالذى فعله الوشاح الأول أنه استوحى بناء موشحته من المسمطات المشرقية التى تتنوع فيها القوافى ، وتعدد فيها الأشكال والأنماط ، وقد وقف الوشاح الأول على هذه المحاولات ، فتأثر بها ، وبنى عليها شكل موشحته ، ولعلها كانت شبيهة فى بداياتها الأولى بالشعر المسمط ثم تطورت بعد ذلك فى بنائها على أيدي أجيال أخرى من الوشاحين ، وقد أشار إلى ذلك ابن بسام فقال : (٢) « إن صناعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها كانت غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة (ابن ماء السماء) منادها ، وقوم مياها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه » .

وكما أفاد الوشاح الأول فى بناء موشحته - من المسمطات المشرقية ، فقد تأثر كذلك ببعض الأغاني المحلية الشائعة ، فاقترضها وطوعها للعروض العربى ، وبنى عليها خرجته على سبيل التظرف والطرافة ، وليس هذا شيئاً مستحدثاً ، فقد سبق إليه من قبل أبو نواس وغيره عندما كانوا يضمنون قصائدهم ألفاظاً فارسية وغير فارسية ولكنهم لم يكونوا على وعي بفهوم الخرجة على النحو الذى نعهده فى الموشحات الأندلسية .

(١) دار الطوازي ص ٣٩ .

(٢) الذخيرة ق ١٠١ ص ٤٦٩ .

موضوعات

موشحات ابن زهر

الغزل

الغزل هو الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله موشحات ابن زهر ، فهو يستأثر بهما يقرب من ست عشرة موشحة من مجموع موشحات التى سلمت من عوادى الزمن والتى تبلغ خمساً وعشرين موشحة . أما موشحاته الأخرى فيختلط فيها الغزل بالخمر أو المدح وينفرد القليل منها بموضوعات أخرى .

واستثنى الغزل معظم موشحات ابن زهر يدل على أنه لم ينظم الموشحات بغية التكبسب أو الإرتزاق وإنما نظمها استجابة لطبعه ، وتعبيراً عن أحاسيسه ونوازع ، ولذلك ابتعد فيها عن التكلف والتعقيد ، وآثر السهولة والوضوح ، وقد لاحظ ذلك من قبل أستاذنا المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى فقال (١) : « وربما كانت ظروف ابن زهر تختلف كثيراً عن ظروف زملائه الشاحين ، فهو صاحب ثقافة علمية ، وهو من أسرة لم تضطرها الحاجة إلى التكسب بالشعر أو التوشيح ، فكأنه كان يعبر فى موشحاته عن ذات نفسه ، فقال به ذلك إلى البساطة وحسن الأداء » .

وتتميز موشحات ابن زهر الغزلية بطابع غنائى خالص ، ولانكش فى أن أكثرها كان مما يتغنى به ، وكان ابن زهر عاد بالموشح إلى طبيعته الأولى حيث نشأ وتخلق فى بيئات المغنين ، وحيث كان الغناء أحد الأسباب الهامة التى أدت إلى ابتكار الموشح وازدهاره . وقد أشار ابن بسام إلى ارتباط

(١) من مقال بعنوان (فن التوشيح) لأستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهوانى ورد فى كتاب (حركات التجديد فى الأدب العربى) ص ١١٠ .

الموشح بالغزل فقال : (١) « وهى أوزان كثير استعمال أهل الأندلس لها فى الغزل والنسيب ، تشق على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب » .

وموشحات ابن زهر الغزلية مما ينطبق عليها وصف ابن بسام ، فقد صاغها فى سهولة ويسر ، ونأى بها عن الصنعة والتعقيد ، ووفر لها ما يلائم الغناء . وفى ذلك يقول الدكتور مصطفى الشكعة : (٢) « إن ابن زهر لا يكاد يكابه مشقة فى نظم توشيعه أو هكذا يبدو لنا على الأقل ، وهو شعور قلما نحسه عند غيره ، فالرجل يقول التوشيع وكأنه ينظم قصيداً ناعماً مستريحاً غير مكابد ولا متصنع ولا تعب ، بل هو يرسم ويصور ويحانس ويستعير ويضرب فى آفاق الصناعة غير الثقيلة بأسهم مصيبة ، وبأنصبة عديدة وفيرة ، الأمر الذى يستحق من أجله أن يكون سيد الوشاحين وشيوخهم ، إذ ربما كان أول وشاح ينقل روح الشعر إلى جسم الموشحة ، فيخفف من أنقال صناعتها ، ويلين من صلابة بنيتها » .

إن أهم ما يميز به ابن زهر أنه طوع الموشحات للتعبير عن ذاته ، فلم يهتم بالشكل على حساب المضمون كما فعل كثير من الوشاحين ولم ينظر للموشح على أنه مجال لإظهار صنعة الوشاح اللفظية والعروضية ولذلك نراه يؤثر أبسط أنماط البنية ويطوعها لتصوير مشاعره وانفعالاته ، وتلك سمعة يكاد ابن زهر ينفرد بها عن غيره من الوشاحين .

ويذكرنا غزل ابن زهر بقصائد الغزل العذرى ، فهو يسلك مسلك

(١) الذريعة ق ٢ م ١ ص ١ .

(٢) الأدب الأندلسي ، موضوعاته ، وفنونه ، ص ٤٢٠ .

العذرين ، ويردد معانيهم ، فيصف معاناته ، ويتحدث عن ذل الهوى ، وعذاب
العشق ، ويكثر من الشكوى وتصوير الوجد والهيام كقوله : (١) .

هام قلبي في معذبه
وأنا أشكو لطلبه
إن كتمت الحب مت به
وإذا ما صحت واكبدا فرح الأعداء وانتقدوا

* * *

مقلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت
وفؤادى هائم أبدا ما عليه للسلو يد

* * *

إن عيني لا أذنبها
أنبت قلبي وأتعيبها
لنجوم بت أرقبها
رمت أن أحصى لها عددا وهي لا يحصى لها عدد

وزراه في موشحة أخرى يلقب نفسه بشهيد الحب جرياً على طريقة
أصحاب الغزل العذري ، فيقول : (٢) .

(١) طبقات الأطباء ٧١/٢ .

(٢) حيش التوشيح ص ٢٠٩ .

أه من قلبي	شوق إليك شديد	أخنت السماك
الهوى حسبي	فثابت ويزيد	أما هواك
معرك الحب	إني هناك شهيد	على نواك
قولهم بهتان	عن الصواب فريق	يا من أضله
منك بالهجران	أن العذول حقيق	بل ليس تدري

وتفتن المعاني العذرية عنده بتزديد الأوصاف والرموز والصور البدوية
القديمة كقوله (١)

من لصب غدا مشوق
ظل في دمه غريق
حين أموا حمى العقيق
واستقلوا بذى الغضا أسفى يوم ودعوا

ويقتدى ابن زهر في غزله بذى الرمة في كلفه وعشقه بل إنه يرى أنه
يفوقه غراماً وهياماً ، فيقول : (٢)

كلما تاهوا	× حسن الملاح حقير	يا من لديه
حين تلقاه	× حرب الموالى يسير	ومن عليه
حسبي الله	× أشكو الهوى ويجور	ومن إليه
والصباريان	× فيك الجمال أنيق	ياخير جملة
في الهوى غيلان	× في مقلتيك أفوق	أنا لعمري

(١) الغناري المائيات ص ٩٦ .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية ، د. غزى ٨٢/٢ .

ونحتل المرأة مكانة سامية في غزل ابن زهر ، وقد وصل في علاقته بالمرأة
إلى حد التذلل والعبودية حتى إنه لا يجد حرجاً في تقبيل نعل صاحبتة إعظاماً
لها وإكباراً ، كما يتضح في قوله : (١)

لو أجاز حكي عليه
لاقترحت تقبيل نعليه
لا أقول أَلثم خديهِ
أنا من يعظم والله مقداره
ويلزم إكباره

ويتميز غزلة ابن زهر بالبرقة والشفافية والعدوبة ، وهي سمات نلمسها في
موشحاته ، وتطبعها كلها بطابع مميز ، ويمكن أن نلمس ذلك في قوله : (٢)

لا أسمى حبيبي
خوف واش رقيب

يا عليم الغيوب
أنت تدري الذي بي
قلبي المستطار
خانه الاصطبار فباحا

* * *

(١) جيش التوشيح ص ٢١١ .

(٢) نفسه ص ١٩٨ .

إن نأوا بفؤادى
 وتوخوا بعمادى
 وأزاحوا رقادى
 يا إله العباد
 لقمهم حيث ساروا
 أنجدوا أم أغاروا نجاحا

ويصور ابن زهر فى بعض موشحاته كلمة «بغنية أو ساقية كما يبدو فى قوله: (١)»

أيها الباكي على الطلل
 ومدير الراح بالأمَل
 أنا من عينيك فى شغل
 فدع الدمع السفوح سدى وضرام الشوق تنقد
 ويستمد ابن زهر أوصافه للمرأة من صور الطبيعة والخمر كقوله: (٢)

ملك له جنود	من طرفه الكحيل
ألاحظه	فى هذه العقول
وريقة البرود	وخده الأسيل
راح تقل فلجا	كالدر فى الحور
ونور جلناره	فى سوسن نصير

(١) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

(٢) ديوان الموشحات ٦٦/٢ .

ويقرب ابن زهر في غزله من سباحات الصوفية بما يشيع فيه من وجد
وشغافية وتهويمات كما يبدو في قوله: (١)

يا غائباً لا يغيب
أنت البعيد القريب
كم تشكك القلوب
أثنتهم-ن جراحا
فأترك سهام الجنون

وربما ظهر أثر اشتغال ابن زهر بالطب في موشحاته الغزلية ، ونستطيع
أن نلمس ذلك من عدة وجوه ، فمن ذلك قدرته الفائقة على تشخيص حالته
ومزج ذلك بالصور المستمدة من صناعته ، ومما يصور ذلك قوله: (٢)

بت بين الدمع والسهد
واضعاً كفى على كبدي
ويدي الأخرى تشد يدي
وتراهي الموت في صور
غير أن لم يبلغ الأجل

ونستطيع أن نلمس ذلك أيضاً في إكثاره من الرموز والصور والإشارات
والألفاظ المتصلة بمهنة الطب كقوله: (٣)

(١) المغرب ٢٧٩/١ .

(٢) ديوان الموشحات ٧٧/٢ .

(٣) نفسه ٨١/٢ — ٨٢ .

أبدأ ندى	وفي الفؤاد كلوم ×	قاب قريح
جسمى سقما	إلى متى تستديم ×	ويا مشيح
أذنأ صما	أهدى إليك الملموم ×	ويا نصوح
رده عن شان	وما أراك تطيق ×	أطلت عذله
عذره قد بان	أن يستلام مشوق ×	وأى نكر

قد يقول قائل إن شعراء الغزل ينطرقون في قصائدهم إلى مثل هذه الأوصاف ولكن إكثار ابن زهرمنها وترديده لها ، وإلحاحه عليها في مواضع كثيرة يقوى لدينا الظن بأنها انعكاس واضح لاشتغاله بالطب ، وتتردد هذه الإشارات في قوله : (١)

صار بالذل فؤادى كلفا
وجفون ساحرات وطفأ
كلما قلت جوى الحب انطفأ
أمرض القلب بأجفان صحاح
وسى العقل بمجد ومزاح

ونقع على هذه الإشارة الواضحة في قوله : (٢)

برد جوى فى كبدى	واعطف انظمان	صدى
يا من سباني رشدى	وبز نفسى	جلدى
تالله ما فى جسدى	موضع لمس	ليد

(١) معجم الأدباء ٢٢١/١٨ م .

(٢) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

إلا	سقام	ونحول	لم يبق	لى ولا تترك
جاوزت	حد	البشر	يا مهجتي	ما أصبرك

وتتردد لفظة (الطيب) في موشحاته غير مرة كقوله : (١)

قتلتني وأنت الطيب
فأنت لى عدو حبيب
وقوله في موشحة أخرى : (٢)

كذا أذوب	ولا يزال	الغليل	×	جسدى يضنى
فر الطيب	من على	ويقول	×	أين هو منى

وثمة ظاهرة أخرى نلاحظها في غزل ابن زهر وهي حرصه على لف كثير من أدواره أو أبياته الغزلية بما يشبه الحكمة أو المثل، وهي ظاهرة تتردد في غير موشحة ، فراء ينهى هذا البيت التوشيحى بقوله : (٣)

يا من أعانقه بأحناء الضلوع
وأقيمه بدلا من القلب الصديق
أنا للفرام وأنت للتحسن البديع
وكلام اللائم . × شىء مع الرياح
ويقول في موضع آخر : (٤)

(٢) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .

(٣) نفسه ص ٢٠٧ .

(١) طبقات الاطباء ٧٢/٢ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٩ .

علفته ماشئت من حسن بديع
أودى بقلبي واستنام إلى ضلوعي
فأقامها في موضع القلب الصديق
شيم الحب تكليف مالا يستطيع

وفي موشحة ثالثة ينتهى البيت بهذه الحكمة البسيطة البديعة : (١)

واغتتم حين أقبلا
وجه بدر تهللا
لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع

وقد يأتى المثل أو الحكمة عنده في مطلع الموشحة كقوله : (٢)

مسلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع

واهتمام ابن زهر بهذا الجانب يجعل موشحاته قريبة من حياة الناس ومن تفكيرهم ولغتهم السهلة المألوفة ، وقد تميزت موشحات ابن زهر بهذه الخاصية لأنها كانت تنظم أساساً للغناء ، فطبيعى أن يوفر لها كل ما يناسب الغناء من مقومات ، ونستطيع أن نلمس ذلك حتى في مطلع موشحاته الغزلية ، فهذه المطال تكثف الفكرة التى يتناولها الوشاح ، وهى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الموشحة مما يكسب موشحاته ميزة التلاحم والانسجام ، ويتميز

(١) الغدازى المأثسات ص ٩٦ .

(٢) نفسه ص ٩٦ .

كثير من هذه المطالع بالقوة والعمق والاهتمام بالبعد الإنساني كقوله في مطلع موشحة: (١)

جنت	مقل	الغزلان	جنابا	الشمول
على	عالم	الإنسان	جيلا	نخيل

ويتوافر في بعض مطالعه ما يمكن أن نسميه عنصر التشويق أو المفاجأة كقوله في مطلع موشحة: (٢)

زعت أنفاسي الصعدا أن أفراح الهوى نكد

إن موشحات ابن زهر الغزلية تتميز بقدر كبير من الصدق العاطفي ، وحرارة الانفعال ، وتلك سمة نكاد نفتقدها في كثير من الموشحات الأندلسية لانشغال أصحابها بعملية الزخرفة والبناء ، ومن ثم فإن أهم ما يتميز به ابن زهر أنه عاد بموشح الغزل إلى طبيعته وقارب بينه وبين القصيدة الغزلية من حيث البساطة والصدق والوضوح ، فمثل بذلك أجل ما في الغزل بالقياس إلى وشاحي الأندلس .

بقي أن نذكر أن لابن زهر موشحتين في الغزل الغلmani ، وقد عرفت الموشحات هذا اللون من الغزل الذي تردى فيه بعض أصحاب الشعر التقليدي ، وكان وجوده انعكاساً لشيوع تيار اللهو والمجون وانتشار مجالس الخمر التي كانت تعج بالغلman والسقاة ، ويردد ابن زهر في موشحته أسماء بعض الغلمان ، ويصف محاسنهم مردداً بعض المعاني والأوصاف التي استعملها شعراء هذا اللون من الغزل. (٣)

(١) المغرب ص ٢٦٩/١ .

(٢) طبقات الأطباء ٧١/٢ .

(٣) أنظر هاتين الموشحتين في ديوان الأندلسية ١٠١٢ ، ١٢٠/٢ .

الخمریات

يأتى وصف الخمر في المرتبة الثانية بعد الغزل في موشحات ابن زهر ، ولعلنا
لانسرف في القول إذا قلنا إن موشحاته الخمرية تعد من أرق ما قيل في
هذا الباب .

وهو لا يعالج موضوع الخمر منفصلاً عن غيره من الموضوعات ، فليس
في موشحاته موشحة واحدة تستأثر وحدها بوصف الخمر ، ولكنه يعالج
الخمر في إطار بعض الموضوعات الأخرى ، وهي ظاهرة نلاحظها في موشحات
الخمر عموماً ، فالخمر عند تـمـتـرـج دائماً بالغزل ، وقد تـمـتـرـج بالغزل والطبيعة معاً
وله موشحة واحدة ترتبط فيها الخمر بالمدح . (١)

وتتوثق الصلة بين الخمر والغزل في موشحات ابن زهر بصورة واضحة ،
فالخمر تبرز في مجال التذكر واسترجاع الماضي المنصرم كقوله في إحدى
موشحاته : (٢)

يا من تعاطينا الكئوس على ادكاره
وقضى على قلبي فلم يأخذ بثاره
وأقر أحكام القصاص على اختياره

إن أقل حسبي فالجور تأباه الطباع

(١) جيش التوشيح ص ١٩٧ .

(٢) نفسه ١٩٨-١٩٩ .

والهوى والخمر في نظر ابن زهر صنوان لا ينفصلان ، كما يبدو في قوله : (١)

هل في الهوى من جناح
أو في نديم وراح

رام النصوح صلاحى
وكيف أرجو صلاحا بين الهوى المجون

وتسيطر على موشحاته الخمرية هذه الثنائية بين الحب والخمر ، أو بين عنصرى الماء والنار مما يتضح في قوله : (٢)

يا أخى قد نبذت سلطانى	وخلعت العذار
إنما أضلعى وأجفانى	بين ماء ونار
رب إن الهوى تولانى	رب أين الفرار
جلة الأمر أننى هائم	بغزال مليح
فدع العاذلين لا كانوا	إن حبي صحيح

ويبدو ابن زهر كلفاً بالخمر ، مفتوناً بها ، فهى تستهويه بأريجها الفواح ، ولذلك فهو يستحضرها ويهتف بها في كل وقت كقوله : (٣)

(١) جيش التوشيح ص ٢٠٠ .

(٢) العذارى المائسات ص ٥٦ .

(٣) نفسه ص ٥٦ .

به الصبح رقدة النائم فانتبه للصبوح
وأدر قهوة لها شان ذات عرف يفوح

* * *

يا حيا الكئوس لاجفت منك أرض الكريم
والك الخير كلما التفت وورقات الكروم
ولعمري لنعم ما جفت بينان النديم
هاتها قبل بكرة اللائم ورواح النصيح
وأدر إن العذول شيطان يفتدى ويروح

وحين تستثيره الطبيعة وتتجلى أمامه بمقاتنها يهتف بالصهباء التي تحاكي
في لونها لون الشمس عند الشفق (١)

فتق المسك بكافور الصباح
ووشة بالروض أعراف الرياح

* * *

فاسقنيها قبل نور الفلق
وغناء الورق بين الورق
كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح
فلك اللهو وشمس الإصطباح

ولا بن زهر أوصاف بديعة في الخمر يعتمد فيها على تجسيد المعاني
وتشخيصها فالخمر تترك رداء الليل ، والابريق يغنى ، والكأس يستمتع بهذا
الفناء الشجي : (١)

صفرأ	بنت	دن	بالنور	تطلع
يشق	كل	دجن	عنها	وينصدع
إبريقها		يغنى	والكأس	يستمتع
ولا	تزال	ترجى	للحادث	النكير
لهم	إن	أثاره	بين الحشا	مثير

وتبدو صورة الساقى أو الساقية بوضوح في موشحات ابن زهر ، وهو
يدير عليها أغلب غزله ، فمن ذلك قوله : (٢)

واصطبج بابتة الكروم
من يدى شادن رخيم
حين يفتر عن تنظيم
فيه برق قد أو مضاع
ورحيق مشعشع

ومن أجل موشحات الخمر وأشهرها موشحة ابن زهر التى يتغزل فيها في
الساقى ويصفه وصفاً بديعاً يدل على مهارة واقتدار ، وفيها يقول : (٣)

(١) جيش التوشيح ص ١٦٦ .

(٢) نفع الطيب ٢٠٢١٢ .

(٣) دار الطراز ص ٧٣ .

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

* * *

ونديم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا وسقانى أربعاً فى أربع

وقد حظيت هذه الموشحة بشهرة واسعة ، فتناقلتها الأجيال ، وعارضها
الوشاحون ، فنسج على منوالها ابن عربى (٥٦٠ - ٦٢٨ هـ) واحتذاها فى
موشح له مطلعته : (١)

عندما لاح لعينى المتكا ذبت شوقاً للذى كان معى
واقبتس ابن عربى مطلع موشحة ابن زهر وجعله خرجه لموشحته . (٢)
كما عارضها الصنفدى فى موشح قال فى مطلعته : (٣)

هلك العصب المعنى هل الكا فى تلافيه بوعد مطمع
وقد أشرنا من قبل إلى أن ابن زهر كان يعارض بموشحته موشحة
أخرى لابن بلى .

(١) ديوان ابن عربى ص ٣٩٢ . طه بولاق ١٢٧١ هـ .

(٢) نفسه ص ٣٩٢ .

(٣) توشيح التوشيح ص ١٢٩ .

الطبيعة

عالج ابن زهر موضوع الطبيعة في موشحاته وأجاد في مزجها بالموضوعات الأخرى ، ووصفها باقتدار وبراعة ولم يقع في أسر الصنعة التي تذهب بجمال الموضوع أو المعنى ، ولذلك لم يتجاوز الدكتور مصطفى الشكعة الحقيقة عندما قال إن ابن زهر فتح بموشحاته باب الطبيعة لغيره من الوشاحين . (١)
وقد أشار ابن سعيد إلى أن أحسن موشحات ابن زهر موشحته في وصف الطبيعة التي أولها : (٢)

مد الخليج × ورف الشجر
لقد تباهى × منظر ونخب

وقد ضاعت هذه الموشحة - للأسف - ولم يبق منها غير مطلعها .
ومن موشحات ابن زهر التي يمزج فيها بين الخمر والطبيعة موشحته التي يقول فيها (٣)

هات ابنه العنب واشرب

• • •

يا صاحبي ما تقول
ماه وظل ظليل

(١) الأدب الاندلسي (موضوعاته وفنونه) ص ٢٠ .

(١) المغرب ٢٧١/١ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ، تحقيق د. محمد زكريا عناني ص ٥٥ .

وقهوة كالسلسيل
ظفرت بالطرب فاطرب

ويمزج ابن زهر بين الطبيعة والخمر في مطلع موشحته التي يقول فيها: (١)

حسب الخيع ملجا روض علي غدیر
وقهوة مداره أنفاسها عبيير

ويصف ابن زهر الطبيعة وصفاً بديعاً في واحدة من أجمل موشحاته ،
ويمزج فيها بين الحنين والغزل والوصف ، ويتذكر فيها أيامه التي قضاها في
أشبيلية في أحضان الطبيعة ، وبين متزهاتها الجميلة . يقول ابن زهر في
موشحته: (٢)

ما للمولة من سكره لا يفيق ياله سكران
من غير خمر يال للكئيب المشوق يندب الأوطان

هل تستعاد أيامنا بالخليج وليا لينا
إذ يستفاد من النسيم الأريج نسك دارينا
وإذا يكاد حسن المكان البهيج أن يحينا
نهر أظله دوح عليه أنيق موريق الأفنان
والماء يجري وعائم وغريق من جنى الريحان

* * *

(١) حيش التوشيح ص ١٩٦ .

(٢) المتطف ١٥٢ .

أوهل	أديب	يحبي	لنا	بالعروس	ما كان أحلى
معى	الحبيب	وصافيات	الكئوس	فاسقنى	واملا
عيش	يطيب	وم-تره	كالعروس	غندما	تجلى
عيش	لعله	يعود	منه	فريق	كالذى قد كان
أضغاث	فكر	تحدو	به	وتسوق	هذه الأنخان

فالطبيعة فى هذه الموشحة ترتبط عند ابن زهر بالوطن والحبيب والأهل ،
وهى أداة التذكر والاسترجاع ، وقد كانت هذه الموشحة تحظى بمكانة
خاصة عند ابن زهر ، فقد سئل عن أبدع ما وقع له فى التوشيح فاختار هذه
الموشحة دون سواها : (١)

المدح

شارك ابن زهر بموشحاته في موضوع المدح، وكان طبيعياً أن يتجه بهذا الفن إلى مدح أمراء الموحدين الذين خدمهم بطبه وعلمه، وحظى عندهم بكانة مرموقة، ولكنه لم يصرف همه إلى المدح، ولم يتخذ وسيلة للتكسب، وربما كانت مدائحه القليلة فيهم ضرباً من المجاملة، واعترافاً بحسن صنيعهم معه.

ولا نجد من مدائح ابن زهر في الموحدين سوى موشحة في مدح الأمير أبي حفص الموحدي، وهي تتكون من أربعة أبيات دورية، يستأثر الغزل بثلاثة منها، ولا يأتي المدح إلا في بيت واحد فقط هو البيت الأخير، وفيه يقول: (١)

يا بن الناصر المنصور	يا بن المجد أجمع
أنت الأمن للمذعور	مما يتوقع
فكم جذل مسرور	يقول وسمع
أبو حفص ه سلطاني	الله يحرزو لي
ه آمنى ه أغنانى	ه بلغن سولى

ولابن زهر موشحة أخرى في مدح أحد الوزراء ويسمى (ابن راحل) وقد بدأها بمقدمة خمرية انتقل بعدها إلى الغزل وأشار في خرجتها إلى ممدوحه فقال في بيتها الأخير: (٢)

(١) المغرب ١/ ٢٧٥ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٧ .

لما نأيت عنى	وبت	مكدا
عللت بالتمنى	قلباً	مفردا
وإذا قربت منى	غدوت	منشدا
بشرى لكل من جا	باقبال	الوزير
أن يعطى من بشاره	ما يعطى	البشير

وهناك موشحة مدح أخرى نسبت لابن زهر الخفيد ومطلعا: (١)

يوم الفراق يوم صعب يرمى إذا رمى فيصيب
ويتخلص الوشاح من الغزل إلى المدح فيمدح المرتضى بن إسحاق ويلقبه
بابن سابع الخلفاء ، فيقول: (٢)

خل الهوى وذكر الظباء
وابعت رسائل من نساء
إلى ابن سابع الخلفاء
بلغ له المعالي نصيب
إن رماها فهو لا يجيب

* * *

هذى مكارم الأخلاق
والمرتضى ابن اسحاق
تألقاً على إشراق
قال لها وقفات تجيب
من خان حبيب الله حبيب

(١) وردت في المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية من ٥٣٠ وقد نسبها محقق الديوان لابن زهر الخفيد .

(٢) المستدرك على ديوان الموشحات من ٥٣٠-٥٤٠ .

وهذه الموشحة قريبة الشبه بموشحة أخرى لابن زهر يقول في مطلعها: (١)

كل له هراك يطيب أنا وعاذلى والرقيب

وهناك تشابه واضح بين الخرجة في الموشحتين فهل الموشحتان من صنع وشاح واحد هو ابن زهر الحفيد ؟

إننى أشك في نسبة موشحة المدح هذه لابن زهر لعدة أسباب ، منها أن قيمتها الفنية ضئيلة بالقياس إلى موشحات ابن زهر ، ومنها - وهذا هو الأهم - أنها قيلت في مدح المرتضى بن إسحاق الموحدي ، وبسمى عمر بن أبي إبراهيم إسحاق ، وقد تولى الخلافة بعد المعتضد وذلك في سنة ٦٤٦ هـ بينما توفي ابن زهر سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ظلت خلافة المرتضى حتى سنة ٦٦٥ هـ عندما ثار عليه أمير من أمراء الموحدين يسمى أبا العلاء إدريس ، ويعرف بسأبي دبوس ، وتلقب بالوائق وتحالف مع بنى مرين حتى استخلص العرش من يد المرتضى (٢).

والمصدر الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الموشحة هو (الروضة الغناء) وقد تردد اسم أبي مروان بن زهر في رواية هذه الموشحة في هذا المصدر (٣) مما يجعلنا نفترض أن هذه الموشحة من صنع أبي مروان عبد الملك بن زهر أحد أحفاد ابن زهر الوشاح وقد عاش والد أبي مروان هذا في خلافة محمد الناصر

(١) جيش التوشيح ص ٢٠٨

(٢) المعجب ص ٤١٨-٤١٩ .

(٣) المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٤ .

وتوفي سنة ٦٠٢ هـ (١). وأنجب ولدين أحدهما أبو مروان هذا ولا نعلم تاريخاً
محددًا لوفاة وإن كان من الواضح أنه عاش في فترة زمنية مقاربة لولاية
المرتضى وربما نظم فيه هذه الموشحة مقلدًا فيها موشحة (كل له هوالك يطيب)
وهي موشحة صحيحة النسبة لابن زهر الحفيد .

الفصل الرابع

جوانب الشكل الفني

في

موشحات ابن زهر

* البنية

* اللغة

* الصور الفنية

* الوزن والموسيقى

* المخرجة

البنيّة :

يختلف الموشح في بنائه عن القصيدة التقليدية ، فالقصيدة تقوم أساساً على وحدة البيت والوزن والقافية . أما الموشح فهو بناء هندسي له قوانينه وتقنياته ، فهو يبدأ بالمطلع إذا كان تاماً ، يليه الدور الذى يتألف من عدة أجزاء متحدة الوزن والقافية ويختم الدور بالقفل الذى يماثل المطلع فى الوزن والقافية وءد الأجزاء ، وتوالى بعد ذلك الأدوار والأقوال حتى نصل إلى الخرجة أو المركز فى ختام الموشح الذى يتألف فى الغالب من خمسة أبيات . والبيت فى مصطلح الموشح غيره فى القصيدة التقليدية ، فهو فى الموشح يتكون من الدور والقفل ويسمى « البيت الدورى » .

وكان بناء الموشح فى مراحله الأولى قريب الشبه بالمسمط ثم تطور بعد ذلك فظهرت الأنماط المركبة والمرصعة والمضفرة حتى صار الاهتمام بالشكل معرضاً لإظهار مهارة الوشاح ، وإثبات تأنقه فى الصنعة .

وتتنوع أنماط البنية فى موشحات ابن زهر ، فقد تأتت فى أبسط أنماطها من غير ترصيع أو تضيفير فيما يسمى (المشطر المجرد) ونمثل له بقوله : (١)

سـلـمـوا مـقـلـتى سـاـحـر

عـن السـحـر والسـاـحـر

وـعـن نـظـر حـائـر

يـرـيـش سـهـام الفـتـور

وـيـرى خـبـايا الصـدـور

(١) المطروب ص ٢٠٤ .

فهذا البيت التوشیحی الخمس شبيه في بنائه بالموشح في مراحله الأولى ،
وهذا النمط قريب الصلة بالمسمطات .

وقد يخالف ابن زهر في البنية بين الدور والقفل ، فيأتى القفل مزدوجاً
مركباً من جرئين بينما يأتى الدور مشطراً ساذجاً كقوله : (١)

بأبى من رابها نظرى فبدا فى وجهها الخجل

أمهـاة تلك أم بشر

للورى فى حسنـها عبر

غصن بان فوقه قر

ورحيق جال فى درر أين منه ويحك القبل

وقد يأتى الدور مزدوجاً وكذلك القفل (٢) ، وقد يكون الدور مشطراً

بينما يجعل القفل مديلاً بفقرة على نحو ما يبدو فى موشحه الذى يقول فى
مطلعه : (٣)

هل لقلبي قرار

والأحبة ساروا رواحا

وقد يستخدم ابن زهر الترصيع فى الأقفال والأدوار (٤) ومع هذا

(١) توشيع التوشيح ص ٥٧-٥٨ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٦ .

(٣) نفسه ص ١٩٨ .

(٤) ديوان الموشحات الأندلسية ١٠٩٦/٢ ، ١٠١٠ .

التنوع في أنماط البنية فلاحظ أنه يؤثر بنية معينة وهي التي يكون فيها الموشح مزدوج القفل ، مشطراً ، ساذجاً (١) ، وكذلك البنية التي يكون فيها الموشح مشطراً ، مجرداً . وهذان النمطان اللذان يؤثرهما ابن زهر يمثلان البنية في أبسط أنماطها ، وهذا ما يتفق مع طريقته التي عرف بها والتي تقوم على إثبات البساطة ومجانبة التعقيد .

هناك ظاهرة أخرى تتصل ببناء الموشحة عند ابن زهر ، هي ما نلاحظه من ترابط وتلاحم وانسجام بين أجزاء الموشحة ، وقد عمد إلى وسائل شتى لتحقيق ذلك ، فكان يلجأ أحيانا إلى ما يسمى في مصطلح العروضيين (التضمين) أو تعليق القوافي حتى لا يستقل جزء بعينه وحتى يجذب انتباه القارئ أو السامع إليه . وقد عد بعض العروضيين التضمين عيباً من عيوب القافية في الشعر استناداً إلى مفهوم وحدة البيت في القصيدة ، ولكن ذلك لا ينسحب على الموشحة التي تقوم على وحدة البيت الدوري والتي ينظر إلى أجزائها باعتبارها كلا واحداً أو وحدة متكاملة ، ونستطيع أن نرى مثالا لهذا التضمين في قول ابن زهر (٢) :

يا طلعة الشمس أما	أصلحت ذاك الخلقا
جعلت قربى حرما	هيجت جسمي حرقا
ولم تعرج كلاما	جئتك أشكو الأرقا
وقام للوجد دليل	بالسر مني أخبرك
أخذت في قتل برى	ولم تحقق نظرك

(١) أنظر ديوان الموشحات الأندلسية ٧١/٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٦ .

(٢) جيش التوشيح ص ٢٠١ .

ومن هذه الوسائل النصّل بين أجزاء الجملة بفواصل أو جمل اعتراضية بحيث لا يكتمل معناها إلا في الأجزاء التالية . كما نلاحظ أن ابن زهر يوظف مطالعه غالباً لخدمة المعنى الأصلي الذي يتناوله .

وتتكون موشحات ابن زهر في الأغلب الأعم من خمسة أبيات ، وهو يلتزم بالمطلع في معظمها فيما عدا أربعة منها (١) .

(١) أنظر ديوان الموشحات الأندلسية ٧١/١ ، ٧٩ ، ١٠ ، ١٤

لغة ابن زهر :

إن ابن زهر وشاح أصيل استطاع أن ينشئ مدرسة ذات ملامح خاصة في فن التوشيح ، هي مدرسة الأسلوب السهل اليسير ، هذا الأسلوب الذى وجد له تلاميذ وأنصاراً بين الوشاحين (١) ، وأهم ما يميز لغته هو تلك الرقة والبساطة المتناهية وهى ممة تنتظم كل موشحاته ، فلا يكاد القارىء لموشحاته يقع على لفظة غريبة أو معنى مستغلق .

والواقع أن صياغة الموشحة في لغة سهلة كان مطلباً يسعى إلى تحقيقه وشاحو الأندلس لأن الموشحات كانت تنتظم غالباً لأجل الغناء الذى يتطلب لغة بسيطة يمكن فهمها بسهولة .

ونلاحظ أن ابن زهر أظهر إعجابه بموشحة لابن القزاز « لما وقع له فى خلالها من حسن الالتئام وسهولة النظام مما يندر وجود مثله فى منشور الكلام » (٢) على حد تعبير ابن زهر نفسه ، وفى ضوء هذا التعليل نستطيع أن نفهم سر إعجاب ابن زهر بموشحة أخرى لابن بلى تنتهى أواخر أقفالها بالتسكين (٣) ، ويعبر ابن حزمون - وهو شاح معاصر لابن زهر - عن رأيه فى الموشح الجيد فيقول (٤) : « ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف » .

(١) مقال (فن التوشيح) للدكتور الأهواى من كتاب (حركات التجديد فى الأدب

العربى) ص ٩١ .

(٢) أزهار الرياض ٢/ ٢٥٤ .

(٣) المقتطف ٤١ .

(٤) أزهار الرياض ٢/ ٢١١ .

وقد وفر ابن زهر لموشحاته هذا المطلب ، فجاءت بعيدة عن التكلف والإغراب ، بسيطة التراكيب ، أقرب إلى منشور الكلام ، مما يتضح في مثل قوله : (١)

يا فؤادى عزاء
كان ما الله شاء
هل ترد القضاء
فلتوال الدعاء
أن ' يرد القطار
فيعود المزار

وتكاد لغة ابن زهر تصبح في بساطتها أقرب إلى العبارات المنثورة كقوله في أحد أقفال موشحاته : (٢)

أنا من يعظم والله مقداره
ويلزم إكباره

ويمكن أن يكتب هذا القفل على هذا النحو « أنا من يعظم والله مقداره ويلزم إكباره » وهنا يبدو أقرب إلى النثر منه إلى الشعر .

وكثيراً ما يعتمد ابن زهر إلى تسكين أواخر الفقر ، أو تسكين قوافي الأقفال والأدوار كلها فيطوع الإعراب لبدو أكثر ملائمة للغناء ، ويمكن

(١) جيش التوشيح ص ١٩٨ .

(٢) المغرب ١/ ٢٧٧ .

أن نرى ذلك في قوله : (١)

يا ساحراً فوق كل ساحر	ومن له حسنه أصف
وجمك كالصباح باهر	أردية الحسن يلتحف
كالروض حفت به الأزاهر	يقطف باللحظ إن قطف
كالغصن اللدن في الثنى	تمز أعطافه الرياح

وتتردد في موشحات ابن زهر عبارات كثيرة تبدو أقرب إلى ما يدور على ألسنة الناس من حديث مادي مثل قوله : « حسبي الله » (٢) وقوله (٣) « وكلام اللائم شيء يمر مع الرياح » وقوله : (٤)

وكان من رأى العذول إذ غشنى أن أهجرك
وقد يضمن الأمثال المتداولة كقوله : (٥)

كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع

وبكثر ابن زهر كذلك من استخدام الأساليب الإنشائية ، مثل حروف الاستفهام ، وصيغ النداء ، مما نراه في قوله (٦)

(٢) طبقات الأطباء ٧٢/٢ .

(٣) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .

(٤) طبقات الأطباء ٧٢/٢ .

(٥) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

(٦) فتح الطبيب ٢٥١/٢ .

(٧) جيش التوشيح ص ٢٠٨ .

يا من يطيل من الصدود كفاكا إستمع منى
و يا عذول أليس تملك فاكا إنته عنى
و يا بخيل ألا أبحت حماكا جود ممتن
... .. إلخ

ولانجد فى موشحات ابن زهر غير موشحة واحدة عمد فيها إلى الصنعة عن طريق تجنيس قوافى الأدوار والأقوال ، وذلك لإثبات مهاته وقدرته كوشاح متمكن يمتلك ناصية اللغة والقوافى ، ويعرف كيف يفتن ويتلاعب بها حسبما يشاء ، وفيها يقول (١)

وبى من الحب قد تسلسل سلسل
فى صورة الدمع بعدما أنهل منهل
والعود عندى لمن تأول أول
والحسن فيه على المثانى ثاب

وفى عدا هذه الموشحة فان موشحات ابن زهر تخلو من الصنعة وتنأى عن أثقال البديع والزينة اللفظية ، ونسير على هذا النمط المعهود من الرقة والشفافية وتتميز ببساطة تراكيبها ، وسهولة ألفاظها ، وإيقاعها العذب الشجى .

الصور الفنية :

الصورة عنصر أساسى من عناصر الشعر ، فالشعر بلاخيال أو تصوير يصير ضرباً من التقرير الممل ، والسرمد الجامد البارد . والصورة الفنية تختلف فى طبيعتها من شاعر إلى آخر بل أنها تختلف باختلاف العصر والبيئة .

والموشحات فن من فنون الأدب ولكنها فن ذو طبيعة خاصة مميزة ، فهى ترتبط أساساً بالغناء ، ولها مجالاتها المميزة كالغزل والخمر والطبيعة ، وإذا كانت الموشحة أقرب إلى الأغنية ، فمن الطبيعى أن يثنى بها الوشاح عن الصنعة ، وأن يبتعد بصورها عن الإغراب والإيغال ، وإذا كان بعض الوشاحين قد دار بموشحاته فى فلك الصنعة ، وأصبح أسيراً للألوان والأصباغ ، فإن ابن زهر عاد بالموشحات إلى طبيعتها المألوفة ، ولذلك فالصورة الفنية عنده تخضع لتلك السمات العامة التى تتميز بها مدرسته ، وهى سمات البساطة والوضوح ، وإن كان هذا لا يمنع من أنه كان يتمتع بخيال خصب خلاق ...

ويعتمد ابن زهر فى رسم صوره على عناصر عديدة ، من أبرزها عنصر « التشخيص » ، فهو لديه قدرة فائقة على تشخيص المعانى وتحويلها إلى صور ناطقة حية ، ويبدو أن ممارسته لمهنة الطب عمقت لديه هذا الجانب وقوته ، ولذلك تبدو بعض موشحاته أشبه بلوحات فنية بديعة تجمع بين البساطة والعمق ، وبين الوضوح ودقة التصوير .

وكثيراً ما يستعين بعنصر « الحركة » فى رسم لوحاته ، ويفتن فى استخدام هذا العنصر فتأتى الصورة نابضة بالحياة والحيوية ، مثل هذه

الصورة البديعة التي يرسمها لنديمه وهو يغالب النعاس من أثر الشراب ،
ويصوره ابن زهر وهو يجذب زق الخمر إليه ثم يناوله وهو متكئ. لابن
زهر ... يقول : (١)

ونديم همت في غوته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه وانكا
وسقاني أربعاً في أربع

ثم انظر إلى جمال هذه الصورة في الموشحة ذاتها حين تستحيل أعضاء
الجسد إلى شخوص تنبكي : (٢)

ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت عيناى من طول البكا
وبكى بعض على بعضى معى

ثم انظر إلى براعته وافتنانه في التشخيص حين تبدو مقلة العين في صورة
شخص يشكو ويرثى ويبكى ويمجد بما يملك : (٣)

مقلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت

(١) دار الطراز ص ٧٣ .

(٢) نفسه ص ٧٣ .

(٣) طبقات الأطباء ص ٧١ .

وشكت مما بها ورثت

وفؤادى هائم أبدا ما عليه للسلو يد

وقد تتحقق المشاركة الوجدانية في بعض صوره ، ويتحد الجو النفسى ،
فيتجاوب شجو الحمام ونوحه مع أحزان الوشاح ، فيمتزجان معاً ، ويذوب
كلاهما فى الآخر : (١)

أبكى العيون البواكى

تذكار أخت السماء

حتى حمام الأراك

بكى بشجوى وناحا على فروع الغصون

ومن العناصر التى تقوم عليها طريقة ابن زهر فى التصوير ما يمكن أن
نسميه تراكم التشبيهات أو الإكثار من إيراد الصور المتلاحقة ، حتى ليستأنر
البيت الدورى - أحياناً - بأربعة صور أو تشبيهات نحو قوله : (٢)

مفرن فلاح الصباح

هززن قدود الرماح

ضحكن ابتسام الأفاح

كأن الذى فى النحور

تخبرن منه الثغور

وهذه الصور على متابعتها وتعددتها صور مألوفة صيغت بطريقة سهلة
بسيطة ...

(١) طبقات الأطباء ٧٤/٢ .

(٢) المطرب ص ٢٠٤ .

وقد تعدد التشبيهات في البيت الواحد بصورة أكثر من المثال السابق
فتعاقب على هذا النحو: (١)

يوسفى الحسن	عذب المبتسم
قمرى الوجه	ليلى اللمم
عنترى البأس	علوى الهمم
غصنى القد	مهمزوم الوشاح
مادرى الوصل	طائى السماح

وهذه الصور خير مثال لما تتميز به طريقة ابن زهر من بساطة ووضوح ،
وهى تستمد جمالها من بساطتها وسهولة صياغتها

وتتنوع المناهل التى يستقى منها ابن زهر مواد صوره ، وغالباً مايستمد
صوره من أجواء الطبيعة والخمر كقوله: (٢)

زاد على بهجة النهار	من حسنه الدهر فى ازدياد
لحظ له سطوة العقار	يفعل فى العقل ما أراد
خداه كالورد فى البهار	يقطف باللحظ أو يكاد
وذلك المبسم البرود	حصاه در وصرف راح
أو مثل ماقلت ماء مزن	يسقى بها يانع الأفاع

(١) ديون الموشحات الأندلسية ١١٩/٢ .

(٢) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

ويقتبس ابن زهر صوره كذلك من أجواء الحرب كما في قوله: (١)

وغـ زال سامنى بالملق
وبرى جسمى وأذكى حرقى
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه أنايب الرماح
وثنى الذعر مشاهير الصفاح

وقد تسلت الصور المستمدة من صناعة الطب إلى موشحات ابن زهر،
وقد مر بنا في غير هذا الموضع ما يدل على هذا الأثر، مثل قوله: (٢)

قلب قريح	وفى الفؤاد كلوم	أبدأ تدي
ويا مشيح	إلى تستديم	جسمى سقما
ويانصوح	أهدى إليك الملوم	أذناً صما
..... إلخ		

وقد يأخذ صوره من اللغة التى أجادها حتى قيل إنه لم يكن فى زمانه أعلم
منه بعرفة اللغة (٣)، فمن ذلك قوله: (٤)

من لى بمخضوبة البنان	ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشبه الزمان	ماض ومستقبل وحال

(١) ديوان الموشحات الأندلسية ١١٨/٢ - ١١٩ .

(٢) نفسه ٨١/٢ - ٨٢ .

(٣) طبقات الأطباء ٦٨/٢ .

(٤) التكملة ٧٣/٢ .

وقد تلج على ذهنه بعض الصور القديمة مثل صورة الطلل وهو يتمثلها على هذا النحو: (١)

عارض الفؤاد بأشجانه
ومضى على حكم سلطانه
فأنيرت في بعض أوطانه
نارة أقبل في الترب آثاره
وأندبه نارة

وحين يصف ابن زهر معاناته وتباريحـه وسهره ترد على ذهنه صورة الكواكب التي تساق ، ويتخيل الليل كالأسير ، وهى صورة قديمة ولكن ابن زهر يلبسها هذا الثوب الجميل فيقول: (٢)

قد مات كل ميل	لجانب الصبا
ويل وأى ويل	لكل من صبا
أعيا على ليلي	شرقاً ومغرباً
كواكب نرجى	تراحف الكسير
فهن في استداره	والليل كالأسير

وقد يعمد في صوره إلى طريقة قياس الأشباه والنظائر على نحو يذكرنا بأبى تمام كما فى قوله: (٣)

(١) جيش التوشيح ص ٢١١ .

(٢) نفسه ص ١٩٧ .

(٣) المغرب ١/ ٢٧٧ .

ضبقت بالأسى ذرعاً	لا أطيق	كتما
يلبس الدجي درعا	زائر	ألمأ
صار صورة بدعا	حجبوه	لما
من عوائد القمر	وكذا	الأفـول
أمل بلا كدر	قلما	تأتى

ويستمد ابن زهر بعض صوره من الأجواء الشعبية ، فنراه يردد صورة العروس في وصف الرياض فيقول : (١)

عيش يطيب ومنزه كالعروس عندما تجلى

وتبرز عنده صورة الغريق الذى يصارع الأمواج ويتشبث بالحياة فلا يجد طوق نجاة يتعلق به ، وهى صورة شعبية صميمية : (٢)

دمعى جرى فنطق X	عن بعض ما أجد
ومسعدى فى الأرق X	والناس قد رقدوا
نجم ضعيف الرمق X	حيران منفرد
يلوح ضعف القوى X	على توائده
مثل التماس الغريق X	ماليس ينجيه

وعلى هذا النحو استطاع ابن زهر أن ينوع فى مادة صوره ، وأن يحاق بها فى آفاق الخيال الواضح الخلاب ، وأن يصوغها فى أسلوب سهل ، فعدت صوره مطلباً يعجز عن تحقيقه كثير من الوشاحين .

(١) ديوان الموشحات الاندلسية ٩٧/٢ .

(٢) المغرب ٢٧٦/١ .

الوزن والموسيقى

كانت الموشحات الأندلسية ثورة عاتية على الشكل الموروث للقصيدة العربية ، وتمثلت هذه الثورة أكثر ما تمثلت في بنية الموشحة وفي أوزانها وقوافيها .

وقد تحدث ابن سناء الملك عن أوزان الموشحات ، فرأى أنها تنقسم إلى قسمين : (١)

الأول : ما جاء على أوزان أشعار العرب .

وهذا القسم ينقسم بدوره عند ابن سناء الملك إلى قسمين :

أحدهما : ما يلتزم بالوزن الشعري التزاماً تاماً دون أى تغيير ، ويرى ابن سناء الملك أن ما جاء على هذا النسيج يعد مردولاً مستقبحاً ، وهو بالخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الوشاحين .

والآخر : ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو ضمة تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً ، وقرضاً محضاً .

أما القسم الثانى من الأوزان -- كما يحدده ابن سناء الملك -- فهو ما لا وزن له فيها ، ولا مدخل لشيء منه فى شيء من أوزان العرب ، وهذا القسم منها فى رأيه -- هو الكثير ، والحجيم الغفير . .

ويرى ابن سناء الملك أن هذا القسم الأكبر من الموشحات لا يوزن بغير

ميزان التلحين فيقول « وما لها عروض إلا التلحين ، ولا ضرب إلا الضرب ولا أوتاد إلا الملاوى ، ولا أسباب إلا الأوتاد ، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور ، والسالم من المزحوف ، وأكثرها مبنى على تأليف الأرغن » . (١)

والواقع أن الدراسة العروضية المتأنية للموشحات تجعلنا لا نسلم بكل ما رآه ابن سناء الملك ، فليس اللحن هو الأساس في وزن الموشح ، بل إن « ميزان العروض هو حجر الزاوية في نظم الموشح ، كما هو الشأن في نظم القصيدة ، وقد اعتمد عليه المغنون في تجزئة الموشحات وتلحينها ، وفي تطويع الألحان الإسبانية لمقاييسه كل ما في الأمر أن مقاييس العروض في الموشح لم تعد قاصرة على مقاييس الخليل التي ضبط بها أوزان الشعر العربي ، بل تعدتها إلى مقاييس جديدة ولدها الوشاحون من مقاييس الخليل ، وأثروا بها العروض العربي ، وأفاد منها المغنون في تلحين الموشح . وما من وزن من أوزانهم « المبتكرة » إلا وهو « مولد » من الأوزان المستعملة أو المهمة في العروض العربي » . (٢)

وقد ضرب ابن سناء الملك مثلاً للموشح الذي لا يخضع لأوزان العرب بموشح التطيلي الذي يقول في مطاوعه : (٣)

أنت اقتراحى × لا قرب الله الواحى

وقد وصف ابن سناء الملك هذا الموشح بأنه « مضطرب الوزن ، مهلهل النسيج ، مفكك النظم » .

(١) دار الطراز ص ٣٥ .

(٢) في أصول التواشيح ص ٦ .

(٣) دار الطراز ص ٣٧ . في أصول التواشيح ص ٤٣ .

وبالتقطيع العروضى لهذا المطلع يبدو وزنه على هذا النحو :

أنت اقتراحى × لا قرب الله اللواحى
مستفع — لاتن × مستفعن مستفع — لاتن

وهذا الوزن مولد من بحر الرجز ولكن الوشاح استغل فكرة الزحافات والعلل ، فأضاف إلى التفعيلة الأولى (مستفعن) سبباً خفيفاً وكذلك فعل فى التفعيلة الأخيرة . وهذا ينبنى ما ارتآه ابن سناء الملك من خروج هذا الموشح عن الوزن ، ويؤيد ما نراه من أن تجديد الوشاحين كان فى إطار العروض العربى .

وبدراسة موشحات ابن زهر عروضياً نلاحظ أنها تسير فى اتجاهين :

الأول : ما يجرى على الأوزان الخليلية التقليدية دون تغيير أو تبديل ودون حذف أو إضافة ، ومن ذلك الموشح المشهور : (١)

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
فهو من بحر الرمل وتفعيلاته :
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

ومن ذلك موشحه الذى يقول فى مطلعہ : (٢)

زعمت أنفاسى الصعدا أن أفراح الهوى نكد

(١) دار الطراز ص ٧٣ .

(٢) طبقات الأطباء ٧١/٢ .

فهو من بحر المديد ووزنه :

فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن

أما القسم الثاني - وهو الأكثر - فهو ما جدد فيه ابن زهر في إطار العروض العربي .

وتتوزع مظاهر التجديد في الأوزان عند ابن زهر ، فقد يعتمد إلى التجزئة في الوزن كما فعل في موشحته : (١)

لأتبعن الهوى × إلى أقاصيه
حتى يقول فريق × رقت حواشيه

فقد جزأ تفعيلات بحر البسيط فجاءت على هذا النحو :

مستفعلن فاعلن × مستفعلن فاعلن

وفي موشحته التي يقول فيها : (٢)

ماللهوله . من سكره لايفيق × ياله سكران
من غـمـر خمر يالكئيـب المشوق × يندب الأوطان

نراه يجزئ تفعيلات بحر البسيط بحيث تأتي على هذا النحو :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مس × تفععلن فعلن

وقد يفيد من الاستعمالات المتنوعة للبحر كما فعل في موشحته : (٣)

(١) المغرب ٢٧٥/١ .

(٢) المقتطف ١٥٢ .

(٣) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

هل ينفع الوجد أو يفيد أم هل على من بكى جناح
يامنية القاب غبت عني فالليل عندي بلا صباح

فقد نظمه في ضرب (مخـلـع البسيط) محدثاً علة حذف في التفعيلة
الأخيرة باسقاط السبب الخفيف منها ، فيكون الوزن على هذا النحو :

مستفعلن فـاعـلن فعولن مستفعلن فاعلن فعو

ولا تقف محاولاته عند هذا الحد ، بل نراه يولد استعمالات جديدة للأوزان ،

كما يتضح من موشحته : (١)

هل لقلبي قـرار

والأحبة ساروا رواحا

فقد ولد من وزن الخفيف استعمالاً جديداً هو (فاعلاتن فعولان) ولم
يكتف بذلك ، بل نراه يذيل السمط الثاني بفقرة على وزن (فعولان) .

وقد ينظم في وزن من الأوزان ولكنه يغير قليلاً في صورته المألوفة كما
فعل في موشحته : (٢)

به الصبح رقـدة النائم فانتبه للصباح

وأدر قهوة لها شان ذات عرف يفوح

فالמושحة أصلها من بحر الخفيف ولكن تفعيلاته جاءت على هذا النحو :

فاعلاتن متفع لن فعان فاعلاتن متان

(١) جيش التوشيح ص ١٩٨ .

(٢) العذاري المائعات ص ٥٦ ،

وتتغير صورة بحر المنسرح في موشحته: (١)

هات ابنة العنب * واشرب

فيأتى وزنها على هذا النحو :

مستفعلن مفعو * لات فع

ويلجأ ابن زهر إلى فكرة العلل ، فيستغل كل ما فيها من إمكانات متاحة ،
فاذا استعمل بحر الكامل مثلاً ، زاد على التفعيلة الأخيرة فى كل غصن من
أغصان الدور سبباً خفيفاً فتصير (متفاعلاتن) بدلا من (متفاعلن) ، فاذا جاء
إلى القفل عمد إلى التنوع لإثراء الموشحة بالموسيقى ، فتجىء صورة القفل
على هذا النحو :

فاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلاتن

وينطبق هذا الوزن على موشحته التى يقول فيها: (٢)

يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب

لله ما ألقاه من فقد الحبايب

قلب أحاط به الهوى من كل جانب

أى قلب هــأم لا يستريح لى اللواحى

وقد يستعمل الوزن مقلوباً كما فى موشحته: (٣)

(١) نفع الطيب ٤٦٨/٣ .

(٢) طبقات الأطباء ٧٢/٢ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ٩٠/٢ .

صادنى ولم يدرك ما صادنا
شادن سبي الليث فانقادا
واستخف بالشمس أو كادا
ياله قد ضم بالغصن أزراره
وبالحقف زفاره

فقد نظمها في مقلوب البسيط مع شيء من الحذف ، فجاء وزن الدور على
هذا النحو :

فاعلات مستعلن فعلن

أما القفل فقد جاءت صورته على هذا النحو :

فاعلن مستعلن فاعلن فعلن

علن فاعلن مستف

ولا يقف تجديداً بن زهر واهتمامه بموسيقاه عندهذا الحد ، بل نراه يعتمد الى
وسائل أخرى لإثراء موشحاته بالموسيقى ، كالتنوين في القوافي ، والتكرار
في بعض الألفاظ ، والإكثار من حروف النداء ، وحروف المد والإطلاق ،
مما يمكن أن نلمسه في قوله : (')

يا صاحيبا	إلى متى تعذلانى	أقصرا شيا
قد مت حيا	والمبتلى بالقوائى	ميت حيا
جنى عليا	عذب اللى والمعاني	طاطر ربا

هلال كله غزال أنس يفوق سائر الغزلان
يا ليت شعري هل لي إليه طريق أو إلى السلوان

وقد يجانس بين القوافي في الأدوار والأفعال لإحداث لون من ألوان الموسيقى كما في قوله: (١)

وناطق بالذى كفهاها فاها
وبعد ما راغباً أتاها تاها
وبالجمال الذى سبهاها باهى
قالت على الحسن من سباني باني

فابن زهر لم يأل جهداً في الاهتمام بموسيقاه ، أو العناية بتطوير أوزانه وتطويرها للغناء ، معتمداً في تجديده على حيل ووسائل كثيرة ، وإن كانت هذه المحاولات لم تخرج عن إطار العروض العربي ، ولم تشذ عن قواعده وأصوله العامة .

الخُرْجَة :

الخُرْجَة هـى الجزء الأخير الذى يَختَم به الموشح ، وهى تَحْطَى باهْتِمَام خاص من الوشاح ، ولذلك وصفها ابن سناء الملك بأنها « أٌبْزار الموشح وملحه وسكره ، ومسكه وعنبره » (١) ورغم أنها تأتي فى آخر الموشح « فينبغى أن يسبق الخاطر إليها ، ويعملها من ينظم الموشح فى الأول ، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية ، وحين يكون مسيئاً مسرّحاً ، ومتعجباً منفسحاً ، فكيفما جاءه اللفظ والوزن خفيفاً على القلب ، أُنِيقاً عند السمع ، مطبوعاً عند النفس ، حلواً عند الذوق ، تناوله وتنوله ، وعامله وعمله ، وبني عليه الموشح ، لأنه قد وجد الأساس ، وأمسك الذنب ، ونصب عليه الرأس » (٢).

والأصل فى الخُرْجَة أن تكون بلغة عامية بشرط أن تكون « حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة ، حادة منضجة ، من أَلْفَاظ العامة ولغات الدأصة » (٣).

ويموز أيضاً أن تكون الخُرْجَة معربة خاصة إذا كان الموشح فى المدح ، وذكر اسم الممدوح فى الخُرْجَة (٤) ، أما إذا كانت الخُرْجَة معربة وفى غير موشح مدح فيشترط أن تكون أَلْفَاظها غزلة جداً ، هزاة سحارة خلافة ، بينها وبين الصبابة قرابة » (٥).

(١) دار الطراز ص ٢٣ .

(٢) نفسه ص ٣٢ .

(٣) نفسه ص ٣٢ .

(٤) نفسه ص ٣٢ .

(٥) دار الطراز ص ٣٢ .

وقد تكون الخرجة أعجمية « بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمية
سقسافاً نطقياً ، ورمادياً زطياً » (١).

ويجزز للوشاح أيضاً أن يستعير خرجة وشاح آخر وتسمى الخرجة في
هذه الحالة بـ « الخرجة المقتبسة » .

وباستقراء موشحات ابن زهر نلاحظ أن أغلب خرجاتها صيغت بلغة
عامية ، فمن مجموع موشحاته التي بين أيدينا ، تفردت عشرة موشحة بـ خرجة
عامية ، وهناك خمس موشحات جاءت خرجاتها بالفصحى ، أما الموشحات الأربع
الباقية فقد جاءت مبتورة الخرجات .

وابن زهر يشارك غيره من وشاحي الأندلس في إشار الخرجة العامية التي
هي الأصل والأساس في نظم الموشحة ، وتتميز خرجات ابن زهر بصفة عامة
بالبساطة المتناهية حتى لتبدو أقرب إلى الكلام العادي ويغلب على الظن أن بعضها
مأخوذ من أفواه العامة أو من الأغاني الشعبية التي كانت تتردد في البيئة
الأندلسية ، ونستطيع أن نلمس ذلك في موشحته التي يقول في مطلعها : (٢)

هات ابنة العنب واشرب

ويهد للخرجة في الدور الأخير بلفظ الغناء فيقول : (٣)

وسله أن يصحبنا

تحية للصبا

ولغته إن أبي

(١) دار الطراز ص ٣٣ .

(٢) المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ص ٥٥ .

(٣) نفسه ص ٥٦ .

ثم تجيء الخرجة العامية فى ألفاظ بسيطة وكأنها مستقاة من أغنية كانت
تتردد على ألسن الناس ، وهذه الخرجة هى :

رد السلام يا صبي بالنبي
ومثلها أيضاً خرجته العامية التى تقول : (١)
رب يارب هذا الحبيب اجمعنى ماع

وقد تأتى خرجات ابن زهر على ألسنة المحب أو على لسان فتاة تجهر بحبها
فى غير موارد كقوله : (٢)

خود تقول ليست كأخرى تغنى وهى سكرانه
نعم يا الله بعشقتنى وانا عشيق ونحن صبيان
لس بالله ندرى دع كل حد مع رفيق إيش يكون إن كان

وفى خرجة أخرى تصارح الفتاة أمها بحبها فتقول : (٣)

وناظر ناضر المحيا حيا
أراك من قوله إلها ليا
فأنشدته لمن تهيا هيا
واحد هو يا أمى من جيرانى رانى

وقد تأتى الخرجة على لسان النصوص محذرا من خيانة العهد كقوله : (٤)

(١) جيش التوشيح ص ١١٨ .

(٢) المغرب ١/ ٢٦٦ .

(٣) توشيح التوشيح ص ٩٦-٩٦ .

(٤) العناوى المائسات ص ٢٥ .

قالت سمالك أنت ملول
فقلت ودك المستحيل
فأنشد النصوح يقول

من خان حبيب الله حبيب
الله يعاقبه أو يثيبه

وقد نرد الخرجة على لسان العذول كقوله (١):

من لي بمخضوبة البنان ممشوقة القد والدلال
من هجرها مشبه الزمان ماض ومستقبل وحال
فيها رثي عاذلي لشاني ثم اثنى ضاحكا وقال :
عاشق ومسكين الله يريد وارث لمن يعشق الملاح
فداع يهجرن أو يصلني ليس على ساحر اقتراح

وفي أحيان كثيرة تأتي الخرجة على لسان ابن زهر نفسه كقوله : (٢)

أيها المدل بأجفانه
كم وفيت والعذر من شأنه
وأقول في بعض هجرانه
وعلى حبيب قطعت الزياره
وعينيك سحاره

(١) طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

(٢) المغرب ٢٧٢/١ .

وقد يخرج ابن زهر على الأسلوب المألوف في صياغة الخرجة ، فيأتى بها دون تهديد أو غير مسبوقة بلفظ « غنى » أو « أنشد » أو نحوها من الألفاظ التى ذكرها ابن سناء الملك ، وتطرد هذه الظاهرة في غير موشحة ، فمن ذلك قوله : (١)

حملتنى فى الحب مالا يستطاع
شوقاً يراعى لذكره من لا يراعى
بل أنت أظلم من له أمر مطاع
ومع أنك ظالمى أنت ه منأى واقترأحى

وفى موشحته التى يقول فى مطامها : (٢)

حى الوجوه الملاحا وحى نجل العيون
تأتى الخرجة أيضاً مباشرة ودون تهديد فيقول فى ختامها :

باراحلا لم يودع
رحلت بالأنس أجمع
والفجر يعطى ويمنع
أمرت عينيك الملاحا سحر وما دعونى

ومن مظاهر خروج ابن زهر على الأسلوب المألوف فى الخرجة أن إحدى موشحاته تنفرد بكون الخرجة العامية لم تأت فيها فى البيت الأخير كالمألوف والشائع بل إنها تأتى فى البيت قبل الأخير (٣) وإن كان ورود الموشحة على

(١) المغرب ١/٢٦٨ .

(٢) نفسه ١/٢٧٣ .

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/١١٤ .

هذا النحو يوحى بأن ثمة اختلالاً في ترتيب الأبيات .

أما الخرجات المعربة فهي قليلة في موشحات ابن زهر ، وقد حاول ابن سناء الملك أن يقصر الخرجة المعربة على موشحات المدح ثم عاد وأجازها في غير المدح .

وتتميز خرجات ابن زهر المعربة بأنها سهلة الألفاظ ، هزaze ، خلافة ، بسيطة المعنى ، ففي موشحته التي يقول في مطلعها : (١)

شمس قارنت بدرآ راح ونديم

تأتى الخرجة معربة ويهد لها في الدور الأخير بلفظ (شدوت) الذي يدل على الغناء فيقول :

إذ لامنى فيه

من رأى تجنبه

شدوت أغنيه

لعل لها عذراً وأنت تلوم

وقد تأتى الخرجة المعربة أيضاً بغير تهديد كقوله . (٢)

إن ناوا بفؤادى

وتوخوا بعادى

وأزاحوا رقادى

(١) طبقات الأطباء ٧١٢ .

(٢) جيش التوشيح ص ١٩٨ .

يا إله العباد

لقهم حيث ساروا

أنجدوا أم أغاروا نجاحا

وقد أبدى ابن زهر اعجابه بموشحة لابن بقى يقول فى خرجتها: (١)

أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق

أطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرق

وأغلب الظن أن أعجابه ابن زهر بهذه الخرجة مرده إلى طرافة المعنى وما يظهره من اعتزاز بالوطن الأندلسى فضلا عن براعة ابن بقى فى صياغة خرجته بلغة معربة سهلة تقترب فى بساطتها وسهولتها من اللغة العامية.

ونقع فى موشحات ابن زهر على بعض الخرجات المقتبسة، وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا اللون من الخرجات فأجاز الخرجة المعربة إذا كانت متضمنة بيتاً من أبيات الشعر المشهورة، ورأى أن هذا لا يصدر إلا عن شجعان الشاحين والطعانين فى صدور الأوزان (٢)، وهذا ما فعله ابن زهر، ففى موشحته التى يقول فى مطلعها (٣).

سلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع

يقتبس ابن زهر فى الخرجة بيتاً مشهوراً لأبى تمام وهو قوله (٤):

(١) المقتطف ٤١.

(٢) دار الطراز ص ٣٣.

(٣) نفع الطيب ١/٢ ص ٢٥١.

(٤) ديوان أبى تمام ٢ ص ٣٢٠.

فو الله ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم مع الركب يوشع
ولكنه يحور في ألفاظه وبطوئه للمعنى الغزلى العام ، فيذوب في جسد
الموشحة ، وتأتى الخرجة على هذه الصورة ودون تمهيد :

ما تـرى حين أظـعنا
وسرى الـركب موهنا
واكتمى اللـيل بالسنا

نورهم ذا الذى أضـا أم مع الركب يوشع

وفى موشحة أخرى يقتبس ابن زهر فى خرجته بيتين لابن زيدون مع
تحوير طفيف ، فتأتى الخرجة على هذا النحو :^(١)

بهـدك ما نمت ولا ألفت إلا السهرا
فى ليلة طالت بلا صبيح ولاضوء يرى
فقلت للـبدر على حين من اللـيل سرى
بالـيل طـل أد لا نطول لا بد لى أن أسهرك^(٢)
لـوبات عـندى قـمـرى ما بت أرعى قمرك

ويقتبس ابن زهر مطلع قصيدة مشهورة لابن حمد يس فيجعله إحدى

(١) جيش التوشيح ص ٢١٠ .

(٢) هذا البيت والذى يليه لابن زيدون . ديوانه ص ١٨٢ وقد حور ابن زهر فى
ألفه (لا تطل) بأن جعلها ملحونه لتتواءم مع مثيلاتها فى خوايم الأتقال السابقة .

خرجاته وذلك في موشحته التي يقول في مطلعها (١):

فتق المسك بكافور الصباح
ووشت بالروض أعراف الرياح

ويهد في ختامها للخرجة بما يدل على صلتها بالغناء فيقول :

يا على أنت نور المقل
جد بوصل منك لى يا أملى
كم أغنيك إذا مالحت لى

ثم تأتي الخرجة المقتبسة : (٢)

طرقت والليل ممدود الجناح
مرحبا بالشمس من غير صباح

ولانعثر في موشحات ابن زهر على خرجة رومية واحدة ، وهو في هذه الناحية يجارى وشاحى عصره ، إذ لم يؤثر عن وشاحى عصر الموحدين سوى خرجة رومية واحدة بنات في موشحة مدح لابن مالك (٣). ولا يكون أماننا لتفسير ذلك إلا أحد احتمالين ، فاما أن يكون ابن زهر قد عرف هذا اللون من الخرجات ولاكنه لم يصل إلينا ، وفقد مع ما فقد من موشحاته ،

(١) معجم الأدباء ٢٢١/١٨ :

(٢) البيت لابن حمديس . أنظر ديوانه ص ٨٢ .

(٣) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص ٥٧٧ .

وإما أن يكون قد ابتعد عن هذه المخرجات - بقصد أو بغير قصد - لاسيما وأنه أمضى الشطر الأكبر من حياته في بلاط الموحدين في مراكش .

مها يكن من أمر ، فإن ما بقى من خرجات ابن زهر يشير إلى براعته في صياغتها ، فقد وفر لها قدراً كبيراً من البساطة ، واقترب بها من لغة الحديث العادى ، فجاءت معبرة عن روح العامة ، وممثلة للطابع المحلى .

الفصل الخامس

منزله الادبية

منزلة الأديبة:

يتبوأ ابن زهر الحفيد منزلة مالية بين وشاحى الأندلس ، فاذا ذكر أبرز
الوشاحين كان ابن زهر فى طبيعتهم ، وإذا ذكر الوشاحون المعاصرون له
كان هو إمامهم وفارسهم وسابق حليتهم ، وقد أشاد به غير واحد من
معاصريه ومن جاءوا بعده ، فقال عنه ابن سعيد - وهو فى معرض الحديث
عن وشاحى الأندلس : « وسابق الحلبة التى أدركت هؤلاء هو أبو بكر بن
زهر ، وقد شرقت موشحاته وغربت » (١) .

وقال عنه عبد الواحد المراكشى (٢) : « وأما الموشحات خاصة فهو الإمام
المقدم فيها ، وطريقته هى الغاية القصوى التى يجرى كل من بعده إليها ، وهو
آخر المجيدين فى صناعتها » .

أما تلميذه ابن دحية فقال عنه : (٣) « والذى انفرد به شيخنا ، وانفادت
لتحليته طباعه ، وصارت النباه فيه من خوله وأتباعه ، الموشحات ، وهى
زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جواهره وصفوته » .

أما ابن الخطيب فقد وصفه بقوله : (٤) « بدر أشرق منماه ، وراقت فى
المجد التليد سياه ، وتبوأ من السؤدد أجل محل وأسماء ، وأبدع فى التوشيح

(١) المقتطف ص ١٥٢ .

(٢) المعجب ص ١٤٦ .

(٣) المطرب ص ٢٠٤ .

(٤) حيش التوشيح ص ١٩٦ .

وأغرب ، وسهل السنن إلى المعارف وقرب ، فناء توشيح يرف رونقه، ويشف
ألقه ، مع سهم في الطاب وافر ، وطبع غير متنافر . » .

وهذه الروايات توضح لنا المنزلة السامية التي حظى بها ابن زهر بدين
وشاحي الأندلس ، كما تشير إلى إعجاب معاصريه بطريقته التي انفرد بها في
التوشيح وهي الطريقة التي تقوم على البساطة والسهولة ، وتعتمد الطبع وعدم
التكلف ، ولذلك وصفه ابن سعيد بأنه « أول من عصر سلافة التوشيح لأهل
عصره » (١) وهو وصف دقيق للطريقة التي تميز بها ابن زهر ، وقد أصبحت
هذه الطريقة مطلباً يسعى إليه كل من جاء بعده ، فلا غرابة إذاً أن تحظى
موشحاته بشهرة كبيرة في المغرب والمشرق على السواء ، فيقلدها المقلدون ،
واكتفوا الوشاحون ، بل إن وشاحاً كابن حزمون - وهو معاصر لابن
زهر - عمد إلى طريقة جديدة يضمن بها الذبوع والانتشار لموشحاته وهي
قلب موشحات ابن زهر واستخدام بعضها في موضوعات الهزل والمجون
والدعابة ، وقد وصف بأنه لم يدع موشحة تجرى على ألسنة الناس بتلك البلاد
إلا عمل في عروضها ورويتها موشحة على الطريقة المذكورة التي تشبه طريقة
ابن حجاج البغدادي (٢) ، ومن موشحاته التي ذكر ابن سعيد أنها مقلوبة
موشحته التي يقول في مطلعها : (٣)

قد عولت هذه العرود	على قتال مع الفقاح
وأنت يا صاحب المجن	إحذر شبا هذه الرماح

(١) المقتطف من ١٥٢ .

(٢) المعجب من ٣٧٣ .

(٣) المغرب ١٩٧ (مخطوط) .

وقد عارض بها موشحة ابن زهر التي يقول في مطلعها (١)

هل ينفع الوجد أو يفيد أم هل على من بكى جناح
يامنية القلب غبت غنى فالليل عندي بلا صباح

وقد قلب ابن حزمون معاني موشحة ابن زهر التي تدور حول الغزل
الأنثوى إلى التماجن والغزل بالمذكر (٢).

ولم يتفرد ابن حزمون وحده بقلب موشحات ابن زهر بل شاركه في ذلك
وشاح آخر هو أبو الحجاج يوسف بن موراطير، وكان محباً للنوادر والتماجن،
وأورد ابن أبي أصيبعة رواية تشير إلى قلبه لإحدى موشحات ابن زهر فقال:
«حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال: كنا في تونس مع الناصر (الموحدي)
وكان في العسكر غلاء وقل جود الشعير، فعمل أبو الحجاج بن موراطير
موشحاً في الناصر وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في
بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال:

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب
وإني العيد في التلاقي مع الحبيب

فقلبه ابن موراطير وقال:

ما العيد في حلة وطاق من الحرير
وإني العيد في التلاقي مع الشعير

(١) طبقات الاطباء ٧٣/٢ .

(٢) المغرب ١٩٧ (مخطوط) .

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين ديناراً^(١).

وكان لابن زهر الحفيد متدبى أدبى يقصده الأدياء وتدور فيه المساجلات والمناقشات ، ولحسن الحظ فقد بقيت روايات قليلة تصور بعض ما كان يدور في هذا المجال ، فمن ذلك ما يذكره ابن سعيد من أنه « جرى في مجلس أبي بكر بن زهر ذكر لأبي بكر الأبيض ، فغض منه أحد الحاضرين ، فقال ابن زهر : كيف تغض ممن يقول :^(٢)

مالذ لى شرب راح على رياض الأفاح
لولا هضم الوشاح إذا انتنى في الصباح

وفي معرض إعجابه بغيره من الوشاحين يقول ابن زهر في أحد مجالسه « ما حسدت وشاحاً على قول إلا ابن بى حين وقع له :^(٣)

أما ترى أحمد في مجده العالى لا يلحق
أطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرق

وذكر الأعم البطليومى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله^(٤).

(١) طبقات الاطباء ٧٨/٢ .

(٢) المقتطف ١٥٢ .

(٣) نفسه ١٥٢ .

(٤) نفسه ١٥٢ .

بدر تم	شمس ضحى	غصن نقا	مسك شم
ما أتم	ما أوضحا	ما أورقا	ما أتم
لاجرم	من لها	قد عشقا	قد حرم

ويذكر ابن سعيد أن سهل بن مالك الغرناطى دخل على ابن زهر -
وقد أسن وعليه زى البادية إذ كان يسكن بحصن سبتة - ، فلم يعرفه ، فجلس
حيث وجد ، وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها :

كحل الدجى يجرى	من مقلة الفجر	على الصباح
ومعصم النهر	في حلل خضر	من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال : أنت تقول هذا ؟ قال : اختبر . قال : ومن تكون ؟
فعرفه ، فقال : ارتفع والله ما عرفتك « (١) » .

ويورد ابن سعيد رواية أخرى على لسان يوسف بن عتبة الإشبيلي يقول
فيها : « ومن المجالس التى جرت لى معه ، ولم أكن لمراده فيها با معه ، أنه قال
لى يوماً ونحن فى محفل من أهل هذه الصناعة - أى الموشحات - وما منهم
إلا من هو موفور البضاعة : لقد تيم أهل غرناطتكم بموشحة مهرم التى يقول
فيها - :

« ورداء الأصيل بطوبه كف الظلام »

فقلت له : تنصف أو تنصرف ؟ فقال : ستجدنى إن شاء الله من المنصفين .
فقلت له : أليس يعذرون على ذلك وشيخكم إمام الوشاحين أبو بكر بن زهر

لما سمع هذا الذى نقرأ به أظهر استحسان مثله من الأدباء وقال : أين كننا نحن عن هذا الرداء ؟ (١)

وهذه الروايات تشير إلى أن ابن زهر كان موضع التقدير والإجلال من أدباء عصره ، فهو إمام الصناعة ، المقدم فيها ، وهو الذى يعتد بآرائه وأحكامه ، ولكن : ما الذى أعجب ابن زهر فى هذه الموشحات التى أشرنا إليها ؟

إن هذه الموشحات التى نالت استحسان ابن زهر تمثل من وجهة نظره النموذج الأعلى للموشح ، وهذه الموشحات تتمثل فيها بعض السمات التى تقوم عليها طريقة ابن زهر ، ففيها المعانى البسيطة ، والألفاظ العذبة ، والسياق الحلو المسترسل ، والموسيقى الهزاجة ، والخرجة الطريفة المبتكرة ، فى موشحة الأبيض يمزج الوشاح فى قفل واحد بين الخمر والطبيعة والغزل ، وتلاحم الموضوعات الثلاثة التى قام عليها الموشح فى الأصل تلاحماً قوياً مع سهولة فى الصياغة ، ورشاقة فى الموسيقى . وقد أشرنا من قبل إلى مبعث إعجاب ابن زهر بخرجة ابن بقى . أما إعجابه بموشحة عبادة القزاز فيرجع إلى ما تميزت به من حسن التسميم فى الفقر ، وجمال التجزئات ، واستقلال العبارات بمعانيها ، والافتنان فى الترصيع والتخفيف من قيود الإعراب بالوقف فى نهاية الفقر .

وتشير الموشحتان الأخريان إلى إعجاب ابن زهر بتوفيق الوشاحين فى رسم صورهما ، وفى قدرتهما الفاتنة على التشخيص وتجسيد المعانى ، فقد استحال الظلام فى واحدة منها إلى كائن حى يطوى رداء الأصيل ، أما فى موشحة

سهل بن مالك الغرناطى فقد بلغت الصورة قدراً كبيراً من الجمال ، فقد
تشخص الدجى والفجر والنهر ، وأخذت هذه المظاهر زيتتها ، وبدأت فى
أبهى حللها .

وهذه الخصائص التى أعجب بها ابن زهرى التى تقوم عليها طريقته التى
تجمع بين بساطة المعنى ، وشفافية اللفظ، وجمال الصورة ، ورشاقة الموسيقى ،
مماهياً له أن يتفرد بالإمامة بين وشاحى عصره ، وأن يكون صاحب طريقة فى
التوشيح يحتذوها كثير من الوشاحين .

الفصل السادس

ابن زهر ... الشاعر

شعره :

إذا كان ابن زهر الحفيد قد انفرد بالإمامة في الطب ، وإذا كانت شهرته كوشاح قد طبقت الآفاق ، فانه عرف أيضاً كشاعر مجيد ، وقد اعترف بهذه الحقيقة غير واحد ممن ترجموا له ، فقال ابن أبي أصيبعة إنه : « طاني عمل الشعر وأجاد فيه » (١) كما أشار إلى ذلك ياقوت في معجمه . (٢)

ويفهم مما ذكره أصحاب التراجم أنه روى له شعر كثير ، ويقول تلميذه ابن دحية إنه استجازه في جميع تصانيف أسلافه وتصانيفه وجميع شعره ونثره وتواليقه . (٣)

ولكن مما يؤسف له أن أغلب شعر ابن زهر ضاع ولم يصلنا منه إلا قدر ضئيل ، فالباقي من شعره عشر قصائد ومقطعات ، ثلاث منها في الغزل ، وقطعتان في الخمر ، والخمس الباقية تتناول موضوعات أخرى ، فواحدة في التشوق إلى ولده ، وأخرى في الشيب ، وثالثة في زهر الكتان ، ورابعة في وصف كتاب جالينوس ، والأخيرة أوصى أن يكتب بها على قبره .

وتتراوح قصائده في الغزل بين العفوية والتصنع ، ونمثل للضرب الأول بقوله : (٤)

(١) طبقات الأطباء ٢/ ٦٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٢١٧ .

(٣) المطرب ص ٢٠٧ .

(٤) نفع الطيب ٣ ٤٦٨ .

يا من يذكرني بمهد أحبتي طاب الحديث بذكرهم وبطيب
أعد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملاء الضلوع وفاض عن أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب
ما زال يضرب خافقاً بجناحه يا ليت شعري هل تطير قلوب

ويحتفظ ابن أبي أصيبعة بقصيدة غزلية لابن زهر تصور ميله إلى الصنعة
وكلفه بالمحسنات البديعية ولا سيما التجنيس ، وفيها يقول : (١)

لله ما صنع الغرام بقلبه أودى به لما ألب بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا من يدعه داعي الغرام يلبه
بأبي الذي لا نستطيع لعجبه رد السلام وإن شككت فمجه
ظبي من الأنراك ما ترك الضنا الحاظه من سلوة لمحبه
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه في سلبه يوم الغوير فسل به
أو شئت أن تلي غزالاً أغيداً في سربه أسد العرين فسر به
يا ما أميلحه وأعذب ريقه وأعزه وأذلني في حبه
أو ما أليطف ورده في خده وأرقها وأشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً يا عا شقين تمتعوا من قربه

ولا يصور ما يلي من غزله امرأة معينة واضحة الملامح والسمات ، وإن
كان يشير في أحد أبياته إلى أن يهواها بعيدة المنال فيقول : (٢)

(١) طبقات الأطباء ٧٠٢ - ٧١ .

(٢) المطارب ص ٢٠٧ .

رمت كبدى أخت السماء فأقصدت ألا بأبى رام يصيب ولا يخطى
ويردد فى غزله المعانى والأوصاف القديمة كقوله : (١)

قريبة ما بين الخلاخل إن مشت بعيدة ما بين القلادة والقرط
وينطوى غزله على بعض الجوانب الحسية، وقد يمزج أحياناً بين الغزل والخمر
كقوله : (٢)

ولى حبيب مليح الدل ذو غننج حلو الشمائل ما فى لثمه باس
فان تعذر أو عزت مطالبه فالكأس والكيس وسواس وخناس
ويكثر ابن زهر من تضمين الحكم والأمثال فى شعره ، وترتبط هذه
الحكم غالباً بمعنى واحد قد يكون مستمداً من طبيعة مهنته وتجربته فى الحياة ،
وهذا المعنى يتصل بفكرة الفناء والذبول والانتهاى ، وهذا ما يتضح فى مثل
قوله : (٣)

هون عليك فهذا لابقاء له أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا
ويتكرر هذا المعنى فى قوله : (٤)

نعمت بها حتى أتيت لنا النوى كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى
ويشير إلى قصر عمر الإنسان فيقول (٥)

(١) المطرب ص ٢٠٧ .

(٢) جيش التوشيح ص ٢٧٤ .

(٣) طبقات الأطباء ٢/٧٠ .

(٤) المطرب ص ٢٠٧ .

(٥) جيش التوشيح ص ٢٧٤ .

هذى الخلاعة لا شيء سمعت به فاستغنم اللهو إن العمر أنفاس

وهو يشير إشارة واضحة إلى طبه ومعالجته للناس حين يقارن بين حالته وهو حي يداوى الناس حذار الموت وحالته حين يصير رهناً للموت ، فيقول وقد أوصى أن يكتب بها على قبره : (١)

تأمل بفضلك يا واقفاً ولا حظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتي كائن لم أمش يوماً عليه
أداوى الأناس حذار المنون فيها أنا قد صرت رهناً لديه

ويرسم ابن زهر صوره بمهارة فائقة مثل هذه اللوحة الفنية التي يصور فيها الندماء وقد أحدثت الخمر أثرها في نفوسهم وأجسادهم ، فيقول : (٢)

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالهم نوم الصباح وغالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلمهم حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تطلب ثأرها أنى أملت إناها فأمالني

ويرق ابن زهر كثيراً في شعره الذاتي ، ويتضح ذلك في قصيدته التي نظمها في شيخوخته حين غلب عليه الشيب ، وفيها يقول : (٣)

إني نظرت إلى المرأة إذ جليت فأنكرت مقلتاى كل ما رأنا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فني
فقلت أين الذي مثواه كان هنا متى ترحل عن هذا المكان ؟ متى ؟

(١) فتح الطيب ٤٣٤/٣ .

(٢) المطرب ص ٢٠٧ .

(٣) طبقات الأطباء ٧٠/٢ .

فاستجملتني وقالت لي وما نطقت
قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهذا لا بقاء له
أما ترى العشب يقنى بعدما نبثا
كان الغواني يقلن يا أخي فقد
صار الغواني يقلن اليوم : يا أبتا

وتفيض الأبيات التي نظمها في التشوق إلى ولده الصغير بالعاطفة
الإنسانية الجياشة (١) .

كما تعكس النماذج الباقية من شعر ابن زهر تأثره بالموروث الشعري
القديم ، وقد مر بنا في غير هذا الموضع وصف بعض أصحاب كتب التراجم
له بأنه كان كثير الحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين (٢) ، ويؤكد شعره هذه
الحقيقة ، فهو في قوله : (٣)

كان الغواني يقلن يا أخي فقد
صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا
ينظر إلى قول الأخطل : (٤)

وإذا دعوتك عمهن فانه
نسب يزيدك عندهن خبالا
وإذا دعوتك يا أخي فانه
أدنى وأقرب خلة ووصالا

ويزعم ابن خلكان أن ابن زهر - في أبياته التي وصف فيها ندماءه والتي
ذكرناها من قبل ، قد ألم بايات مشهورة في الموضوع نفسه لأبي غالب عبيد

(١) طبقات الأطباء ٧٠/٢ .

(٢) التكملة ٢ ٥٥٥ .

(٣) طبقات الأطباء ٧٠/٢ .

(٤) ديوان الأخطل ص ٤٣ .

الله بن هبة الله بن الأصباغى (١) .

وعلى أية حال ، فإن النماذج القليلة التى بقيت من شعر ابن زهر لا تجعلنا نذهب إلى أبعد من ذلك فى الحكم على شعره .

مجموع
أشعار ابن زهر
وموشحاته

الشعر

(١)

(الكامل)

قال ابن زهر يتغزل : (١)

يا من يذكرني بعهد (٢) أحبتي	طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته	إن الحديث عن الحبيب حبيب
ملاً الضلوع وقاض عن (٣) أحنائها	قلب إذا ذكر الحبيب بذوب
ما زال يضرب خافقاً بجناحه (٤)	يا ليت شعري هل تطير قلوب

(٢)

(الكامل)

وقال في زهر الكتان : (٥)

أهلاً بزهر اللازورد ومرحبا	في روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جمل خلعتك لجة	وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

(١) فتح الطيب ٤٦٨/٣ ، عنوان الدراية ص ٨١ ، وورد البيت الثاني فقط في طبقات

الأطباء ٧٠/٢ .

(٢) عنوان الدراية : بذكر .

(٣) عنوان الدراية : من .

(٤) عنوان الدراية : ما زال يخفق صارباً بجناحه .

(٥) فتح الطيب ٤٦٨/٣ .

(٣)

وقال يتغزل: (١)

(الكامل)

لله ماصنع الغرام بقلبه	أودى به لما ألب بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا	من بدءه داعى الغرام يلبه
بأبى الذى لا تستطيع لعجه	رد السلام وإن شككت فعبج به
ظبي من الأتراك ما ترك الضنا	الحاظه من سلوة لمحبه
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه	فى سلبه يوم الغوير فصل به
أوشئت أن تلقى غزالا أعيداً	فى سربه أسد العريق فسر به
ياما أميلحه وأعذب ريقه	وأعزه وأذلى فى حبه
أو ما أليطف وردة فى خده	وأرقها وأشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه	وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً	يا عاشقين تمتعوا من قربه

(١) طبقات الأطباء ٧٠٢-٧١.

وجاء فى تصديرها : « أنشدنى شيخنا علم الدين فيعر بن أوى القاسم بن عبد المعنى بن مسافر الحنفى المهندس للحفيد أبى بكر بن زهر وهى بديعة بالمعنى ، كثرة التجنيس ... الأبيات » .

(٤)

وقال حين شاخ وغلب عليه الشيب (١) (البيسط)

إني نظرت إلى المرأة (٢) إذ جلبت
فأنكرت مقتلتي كل ما رأينا
رأيت فيها شبيخا (٣) لست أعرفه
وكنيت أعرف فيها قبل ذاك فتى (٤)
فقلت أين الذي مثواه (٥) كان هنا؟
مى ترحل عن هذا المكان؟ متى؟
فاستجبتنى وقالت لى وما نطق
قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى (٦)
هون عليك فهذا لا بقاء له
أما ترى العشب يفنى بعد ما نبأ (٧)
كان الغواني يقرن يا أخى فقد
صار الغواني يقرن اليوم: يا أبتا

(١) طبقات الأطباء ٧٠/٢ . وصدر بقول ابن أبي أصيبعة : « أنشدنى القاضي أبو مروان الباجي قال : أنشدنى أبو عمران بن عمران الزاهد المرتضى القاطن باشبيلية قال : أنشدنى الخفيد أبو بكر بن زهر لنفسه في آخر عمره الأبيات » . والأبيات ما عدا الخامس في نفع الطيب ٢٤٩/٢ - ٢٥٠ مع بعض الخلاف ، وهي أيضا في وفيات الأعيان ٤/٤٣٥ ، وورد منها البيتان الأول والثاني في معجم الأدباء ١٢٨/١٨ كما وردت في جيش التوشيح ص ٢٧٤ ، ونسبت في صلة الصلة إلى أبي بكر يحيى بن محمد الانصارى المعروف بالأركش لكن أغلب المصادر تنسبها لابن زهر . أنظر : صلة الصلة ص ١٨٤ - ١٨٥ ترجمة رقم ٣٦٥ وقد ورد منها بيتان فقط .

(٢) في نفع الطيب : قد .

(٣) في نفع الطيب : شويخاً .

(٤) في نفع الطيب : وكنيت أعهد من قبل ذاك فتى .

(٥) في نفع الطيب : بالأمس .

(٦) رواية المقرئ :

فستضحكت ثم فأت وهى معجبة . . . ان الذى أنكرته مقتلتي كل ما رأينا

(٧) لم يرد هذا البيت في نفع الطيب .

(٨) في رواية المقرئ :

كانت سليمة تنادى يا أخى وقد صارت سليمة تنادى اليوم : يا أبتا

(٥)

وقال : (١)

(البسيط)

والدن والزق والإبريق والطاس	مغنى خصيب وباب مرتج أبدأ
فاستغنىم اللهو إن العمر أنفاس	هذى الخلاعة لأشياء سمعت به
حلو الشمائل ما فى لثمه باس	ولى حبيب مليح الدل ذو غنج
فالكأس والكيس وسواس وخناس	فان تعذر أو عزت مطالبه

(٦)

وقال : (٢)

(الطويل)

ألا بأبى رام يصيب ولا يخطى	رمت كبدى أخت السهاك فأقصدت
بعيدة ما بين القلادة والقرط	قريبه ما بين الخلاخل إن مشت
كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى	نعمت بها حتى أتيت لنا النوى

(١) جيش التوشيح ص ٢٧٤ .

(٢) المطرب ص ٢٠٧ . ووردت كذلك فى قفح الطيب ٤٣٤/٣

(٧)

ومما نسب إليه قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء: (١)

(الخفيف)

حيلة البرء صنعة لعليل يترجم الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنية قالت : حيلة البرء ليس في البرء حيله

(٨)

(الكامل)

وقال: (٢)

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالمهم نوم الصباح وغائى
مازات أسقيهم وأشرب فضلمهم حتى سكرت ونالمهم ما نالنى
والخمر تعلم كيف تطلب نارها (٣) إنى أملت إناءها فأمالنى

(١) نفح الطيب ٢/٢٤٨ .

(٢) المطرب ص ٢٠٧ ، وفيات الأعيان ٤/٤٣٤ .

(٣) في وفيات الأعيان : والخمر تعلم حين تأخذ نارها .

(٩)

وقال يتشوق إلى ولده باشبيلية وهو براکش : (١)

(المتقارب)

ولى واحد مثل فرخ القطا صغير تخلف (٢) قلبى لديه
نأت عنه دارى فيا وحشتى (٣) لذاك الشخصيص (٤) وذاك لوجيه
تشوقنى وتشوقته
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إلى ومنى إليه

(١)

وقال وأوصى أن يكتب على قبره : (٥)

(المتقارب)

تأمل بفضلك (٦) يا واقفاً ولاحظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتى (٧) كأنى لم أمش يوماً عليه
أداوى الأنام حذار المنون (٨) فها أنا قد صرت رهناً لديه

(١) طبقات الأطباء ٧٠/٢ وصدرت بقول ابن أبى أصيبعة : « أنشدنى بمبى الدين أبو عبد الله محمد بن هلى بن محمد المرزى الحاتمى قل : أنشدنى الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه يتشوق الى ولده... الأبيات » ووردت أيضاً فى نفع الطيب ٢٤٨/٢ ، الواقى بالوفيات ٣٩/٤ .
(٢) رواية نفع الطيب : نخلت .

(٣) رواية نفع الطيب : وأوردت عنه فيا وحشتا ، واختلاف ترتيب الأبيات فى الواقى بالوفيات .

(٤) فى الواقى : القديد

(٥) نفع ٣٣٤/٣ ، الواقى بالوفيات ٣٩/٤ .

(٦) رواية الواقى : بحمك .

(٧) رواية الواقى : وجنتى .

(٨) رواية الواقى : الحما .

الموشحات

نقدم في الصفحات التالية مجموعة النصوص التي وصلتنا من موشحات ابن زهر وتبلغ في مجلتها خمساً وعشرين موشحة ، يوجد منها عدد قليل غير مكتمل .

وتقتضى الأمانة العلمية أن نعترف بالجهد الكبير الذي بذله أستاذنا الدكتور سيد غازي في جمع وتحقيق الموشحات الأندلسية في عصورها المختلفة ، ومع ذلك فانا لم نعتمد على ديوان الموشحات الأندلسية وحده ، بل اعتمدنا على جمع موشحات ابن زهر من مخطاها الأصلية . وبالنسبة للموشحات التي وردت في غير مصدر ، فانا لم نقتصر في إيرادها على مصدر واحد أو رواية معينة بل حاولنا أن نتخير من الروايات أفضلها من حيث السياق واللغة والوزن . ورتبنا الموشحات حسب الترتيب الهجائي للمطالع .

وقد تيسر لنا العثور على موشحة كاملة لابن زهر لم يكن معروفاً منها سوى المطلع وهي موشحة (هات ابنة العنب) ، كما تسنى لنا العثور على بعض الأجزاء التي كانت ساقطة من موشحة أخرى هي (ما للموله • من سكره لا يفيق) ونتمنى أن تكشف الأيام القادمة عن موشحات أخرى مجهولة لابن زهر .

وبالله التوفيق ... م

(١)(*)

كل له هواك يطيب
أنا وعاذلى (١) والرقيب

* * *

أما أنا فحيث (٢) تشاء
هجر (٣) ولوعة وعناء
يا وبلتاه (٤) مما أساء
قتلتنى (٥) وأنت الطيب
فأنت لى عدو حبيب (٦)

(*) وردت في :

جيش التوشيح ص ٢٠٨-٢٠٩ ، العنارى المائسات ص ٧٥ ، عدة الجليس ٦٣ (عر
الزجل فى الأندلس ص ٩) .

(١) جيش التوشيح : عاذلى .

(٢) العنارى المائسات : فحيثما .

(٣) » » : وجيد .

(٤) » » : واحسرتاه .

(٥) » » : أمرضتنى .

(٦) » » : وأنت لى عدو وحبيب .

* * *

لله عيشي (١) ما أمرا
لقد شقيت مرا وجهرا
دمعى جرى فصار بحرا (٢)
واستبطن الضلوع لهيب (٣)
ذابت بحره وتذيب (٤)

* * *

مالي بقلتيك حويل
ولا إلى رضاك سبيل
يا من يحول فيما يقول
أشكو النوى وأنت قريب
أمر كما نراه عجيب

(١) جيش التوشيح : جيش .

(٢) جيش التوشيح : دما جرى فصادف مجرى .

(٣) العذارى المائعات : استمطرت ضلوعى لهيب .

(٤) جيش التوشيح : ذابت بحرها وتذوب .

(٥) العذارى المائعات : تذيب .

* * *

لم يدر عاذلى ورقبى
أن الهوى أخف ذنوبى
وأنت يا عذاب القلوب
كم تشتكى إليك القلوب
وأنت معرض لا تجيب

* * *

قالت ممالك (١) أنت ملول
فقلت ودك المستحيل
فأنشد النصوص (٢) يقول
من خان حبيب (٣) الله حبيب
الله بعاقبه (٤) أو بثيب (٥)

-
- (١) جيش التوشيح : على ، العذارى المائسات : سيماك ، وفي عدة الجاليس : صاك
(من الزجل فى الأندلس ص ٩) .
(٢) عدة الجاليس : فأنشأ النصيح .
(٣) جيش التوشيح : حبيبه .
(٤) عدة الجاليس : يعاقب .
(٥) عدة الجاليس : وبثيب .

(٢) (*)

هات ابنة العنب واشرب

* * *

يا صاحبي ما تقول

ماء وظل ظليل

وقهوة سلسبيل

ظفرت بالطرب فاطرب

* * *

ظمئت ويحي وما

كنت أخاف الظما

ما ذاق ماء اللمي

وقهوة كالشنب مشرب

* * *

(*) وردت في (الروضة الغناء في محاسن الغناء) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، قلا
من (المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية) ص ٥٥-٥٦ .
ولم ترد في مصادر أخرى فيما عدا نفع الطيب الذي أورد فقط المطلع وقتل البيت الرابع
في معرض رواية جاء فيها : « ولما قل (ابن زهر) الموشحة التي أولها :

هات ابنة العنب واشرب
الى قوله :

وفسد بسأبي ثم بي

سمها أبوه فقال : يئديه بالمجوز السوء أمه ، وأما أنا فلا » .
نظر نفع الطيب ٤٦٨/٣ .

ظبي هضم الوشاح
يرعى بمولى الملاح
أذل أسد الكفاح
في موضع العجب فاعجب

* * *

يا زائري في المنام
بحق بدر الستام
بلغه غنى السلام
وفسده (١) بأبي ثم بي

* * *

وسله أن يصحبا
تحيّة للصبا
وغنه إن أبي
رد السلام يا صبي بالتبي

(١) في الروضة الغناء : وفاده وما أئتمناه من نفع الطيب .

(٣) (*)

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب
وإنما العيد التلاقي مع الحبيب

(*) لا نعرف من الموشحة غير هذا القفل ، وقد ورد في طبقات الأطباء ٧٨/٢ منسوباً لابن زهر الحفيد ، وفي المقتطف ١٥١ ، مقدمة ابن خلدون ١٣٣١/٤ ، أزهار الرياض ٢١٠/٢ ، نصح الطيب ٨ ص ٧ (نقلا عن ابن خلدون) ورد هذا القفل منسوباً لوشاح آخر يسمى ابن مؤهل (ابن موهل) وأغلب الظن أنه ابن موهب الشاطبي الذي ذكره ابن سعيد في المغرب ٣٩٠/٢ وأورد له موشحة يقول في مطلعها :

أما طربت الى الحيا ما بين ندمان وطاق
والبدر في عقب الثريا والليل ممدود الرواق

وقال عنه ابن سعيد انه سكن مرسية ومدح بها ابن مردنيس « . وله ترجمة في التكملة لابن الأبار ص ٣٠٧ ، وفي زاد المسافر ص ٦٣ ، وتدل أخباره أنه كان معاصراً لابن زهر الحفيد وتوفي سنة ٦١٠ هـ أي بعد وفاة ابن زهر بخمسة عشر عاماً ، وقد جاء في طبقات الأطباء أن ابن موراطير نظم موشحة عارض بها موشحة ابن زهر (ما العيد في حلة وطاق... وشم طيب) واستناداً الى هذه الرواية فاننا نرحب نسبة الموشحة لابن زهر الحفيد .

(٤) (٢)

فتق المسك بكافور الصباح (١)
ووشت بالروض أعراف الرياح

* * *

هاسقينا قبل نور الفلق
وغناء الورق بين الورق
كاحرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح
فلك اللهو وشمس الإصطباح

* * *

ولغزال صامئ بالملق
وبرى جسمى وأذكى حرى
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه أنايب الرماح (٢)
وننى الذعر مشاهير الصفاح (٣)

* * *

(*) وردت في : فتح الطيب ٢/٢٠٢-٢٠٣ ، معجم الأدباء ١٨/٢٢٩ .

(١) في معجم الأدباء : شاب مسك الليل كافور الصباح .

(٢) في معجم الأدباء : قصرت عنه مشاهير الصفاح .

(٣) في معجم الأدباء : وانتفت بالذعر أغصان الرماح .



صار بالدل (١) فؤادي كلفا
وجنفون ساحرات (٢) وطفلا
كلما قلت جوى الحب انطفأ
أمرض القلب بأجنفان صحاح
وسبي العقل بمجد ومزاح



يوسفى الحسن عذب الميتم
قمرى الوجوه إلى اللبم
عنترى البأس علوى (٣) الهمم
غصنى القدر منهضوم الوشاح
مادرى الوصل طائى السباح

-
- (١) معجم الأدباء : بالذل .
(٢) معجم الأدباء : ساحرات .
(٣) معجم الأدباء : عيسى .

* * *

قد بالقد فؤادى هينا
وسى ععلى لـ انعطفا
لته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح
ما عليه فى هواه من جناح

* * *

يا على أنت نور المقل
بجد بوصل منك لى يا أملى
كم أغنيك إذا ما لحت لى
طوقت والليل ممدود الجناح (١)
مرحبا بالشمس من (*) غير صباح (٢)

(١) ، (٢) هذا بيت لابن حمد يس . أنظر ديوانه ص ٨٢ واقتبسه ابن زهر وجمعه

خرجة لوشحته .

(*) ديون ابن حمد يس : فى .

(٥)(*)

هل ينفع الوجد أو يفيد أم هل على من بكى جناح
يامنية القلب غبت عنى فالىل عندى بلا صباح

* * *

أفديه من معرض تولى لا عين منه ولا أثر
عذبنى فى هواه كلا لم يبق منى ولم (١) يذر
يا عين عنى (٢) فليس إلى صبر على الدمع والسهر
وفعل الشوق ما يريد فى كبد كلها جراح
يا مخجل البدر لانسلى عن جور الحافظك الملاح

* * *

زاد على بهجة النهار من حسنه الدهر فى ازدياد
لحظ له سطوة العقار يفعل فى العقل ما أراه
مخذه كالورد فى البهار يقطف باللحظ أو (٣) بكاد
وذلك المبسم البرود حصاه در وصرف راح
أو مثل ما قلت ماء مزف يسقى به يانع الأفاح

* * *

(*) وردت فى طبقات الأطباء ٧٣/٢ .

(١) فى طبقات الأطباء : ولا ، والتصحيح عن ديوان الموشحات الأندلسية ١٠٩/٢ .

(٢) » » » : عنى ، » » » » » .

(٣) » » » : أم ، » » » » » .

يا من له أبداع الصفات يا غصن يا دعص يا قمر
 غبت فلم يأت منك آت فاستوحش السمع والبصر
 لولا عيبا تلکم الجهات لذاب قلبي من الفكر
 يا أيها النازح البعيد جاءت بأنبائك الرياح
 إن العبا عنك أخبرتني ما اهتز روض الربى وفاح

* * *

يا ساحراً فوق كل ساحر ومن له حسنه أصف
 وجهه (١) كالصباح باهر أردية الحسن يلتحف
 كالروض خفت به الأزاهر يقطف باللعظ إن (٢) قطف
 كالبدر في ليلة السعود أشرق لألاؤه ولاح
 كالغصن اللدن في الثنى تهز أعطافه الرياح

* * *

(١) كذا بالأصل ، والوزن يقتضى : وجهك .

(٢) في طبقات الأطباء : أم ، والتصحيح من ديوان الموشحات الأندلسية ١١٠/٢ .

من لى بمخضوبة البنان ممشوقة القدد والدلال
من هجرها مشبه الزمان ماض ومستقبل وحال
فيها رثى عاذلى لسانى ثم انتنى ضاحكاً وقال
عاشق ومسكين الله يريد وارث^(١) لمن يعشق الملاح
فداع يهجر^(٢) أو يصلنى ليس على ساحر اقتراح

* * *

(١) في طبقات الأملاء : وارض، والتصحيح عن ديوان الموشحات الأندلسية ١/٢ ١ .
(٢) في طبقات الأطباء : فدع يهجر، والتصحيح عن ديوان الموشحات الاندلسية .

(٦) (*)

نه الصبح رقدة النائم فانتبه للصباح (١)
وأدر قهوة لها شان ذات عرف يفوح

* * *

ياحميا الكئوس لاجفت (٢) منك أرض الكريم
ولك الخير كلما التفت ورقات الكروم
واعمرى لنعم ما حفت بيفان التديم
هاتها قبل بكرة اللائم ورواح النصيح
وأدر أن العذول شيطان يغتدى وبروح

* * *

يا أخى قد نبذت سلطانى وختل العذار
إنما أضلعي وأجفاني بين ماء ونار
رب إن الهوى تولاني رب أين الفرار
جملة الأمر أننى هائم بغزال مليح
فدع العاذلين لا كانوا إن حبي صحيح

(*) وردت في العذاري المائثات ص ٥٦ ، وورد المطلع فقط في المغرب ٢٧٩/١ .

(١) في العذاري المائثات ؛ لاحظت ، والتصحيح من ديوان الموشحات الأندلسية .

(٧) (*)

هل لقلبي قرار
والأحبة ساروا
رواحا

* * *

يا فؤادى عزاء
كان ما الله شاء
هل ترد القضاء
فلتوال الدعاء
أن يرد القطار
فيعود المزار
سراحا

* * *

كنتموا الارتحالا
عن كئيب نكالا
ثم زموا الجمالا
وعلوها الجمالا

حيث ساروا أناروا
والليالي أصاروا صباحا

• * *

إذ نأوا بارتحال
وسروا بالهلال
طلعاً في كمال
من ستور الحجال
ليت أنى جار
لهم ما النهار ألاحا

* * *

تركوا بالمفاني
هائم القلب حان
مغرماً بالأمانى
نادباً للحسان
مفرداً لا يزار
أوحشته الديار فباحا

لا أسمى حبيبي
خوف واهل رقيب
يا علم الغيوب
أنت تدري الذي بي
قلبي المستطار
خانه الاصطبار
فباحا

* * *

إن نأوا بفؤادي
وتوخوا بعادي
وأراحوا (١) رقادى
يا إله العباد
لقهم حيث ساروا
أنجدو أم أغاروا
نجاحا

(١) كذا بالأصل والسياق يقتضى : وأزاحوا .

(٨) (*)

يا صاحبي نداء مفتبط بصاحب
 لله ما ألقاه من فقد الجباب
 قلب أحاط به الهوى (١)
 من كل جانب
 أي قلب هائم لا يستريح (٢) إلى اللواحي (٣)

* * *

يا من أمانقه بأحناء الضلوع
 وأقيمه بدلا من للقلب الصديق
 أنا للغرام وأنت للحسن البديع
 وكلام السلام شيء يمر مع الرياح

* * *

أنحى على رشدى وأفقدني (٤) صلاحى
 ثغرئنى الأبصار عن نور الأفاح
 بسى بهختلطين من مسك وراح
 كالجباب لله ———— ائم فى صفحة الماء القراح

* * *

(*) وردت فى جيش التوشيح ص ٢٠٥-٢٠٦ ، المغرب ١/٢٧٣-٢٧٤ ، طبقات
 الأطباء ٧٣/٢ ، وقد جاء ترتيب الابيات فى المغرب طبقات الأطباء على هذا النحو :
 ١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ ، ٥ .

(١) طبقات الأطباء ، وجيش التوشيح : الجوى .

(٢) فى المغرب لا يستفيق .

(٣) فى المغرب وطبقات الأطباء : من اللواحي .

(٤) فى المغرب : وأعدمي .

من لى به صبيحا (١) تجلى بالظلام (٢)

علقت من وجناته بدر التمام

وعلقت من أعطافه لدن القوام

كالهضيب الناء ————— لم يستطع حمل الوشاح

* * *

حملتنى فى الحب مالا يستطيع

شوقا (٣) يراع لذكره (٤) من لا يراع

بل أنت أظلم (٥) من له أمر (٦) مطاع

ومع أنك ظالمى (٧) أنت ه مناي (٨) واقتراحى

(١) فى المغرب : يدر ، وفى طبقات الاطباء : بدرأ .

(٢) فى المغرب : وفى طبقات الاطباء : فى الظلام .

(٣) فى المغرب : وجداً .

(٤) فى المغرب : بذكره .

(٥) فى المغرب : ولانت أجور .

(٦) فى طبقات الأطباء : —كم .

(٧) فى المغرب وفى طبقات الاطباء ، وفى جيش التوشيح : ظالم .

(٨) فى جيش التوشيح : أنت هو مناي ، وفى المغرب أنت ه مناي ، وفى طبقات

الأطباء : أنت هو سولى واقتراحى .

(٩)(*)

زعمت أنفاسي الصعدا أن أفراح الهوى ~~نكد~~

* * *

هام قلبي في معذبه
وأنا أشكو لمطلبه
إن كتمت الحب مت به
وإذا ما صحت واكبدا فرح الأعداء وانتقدوا

* * *

أيها الباكي على الطلل
ومدير الراح بالأمل
أنا من عينيك في شغل
فدع الدمع السفوح سدى وضرام الشوق تنقد

مقلّة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت
وفؤادی هائم أبدا ما عليه للسلو يد

* * *

إن عینی لا أذنبها
أنبت قلبي وأنعبها
لنجوم بت أرقبها
رمت أن أحصى لها عددا وهي لا يحصي لها عدد

* * *

وغزال يقلب الأسد
جئت لاستنجاز ما وعدا
فانزوى عني وقال غدا
أترى باقوم إش هو غدا في أي مكان يسكن أو نجد

(١٠) (*)

مد	الخـليج	ورف	الشجر (١)
لقد	تعاقنا (٢)	منظر	ومختبر

-
- (١) ورد هذا المطلع في المغرب ٢٧١/١ وقدم لها ابن سعيد بقوله: « أحسن موشحات ابن زهر موشحته التي أولها : مد الخليج ... المطلع ».
- وذكر أنها تقدمت في المتنزهات أي في أثناء الحديث عن متنزهات اشيلية ، وقد سقطت من الكتاب مع نصة اشيلية كما يقول شقق المغرب د . شوق ضيف .
- (أنظر هامش المغرب ٢٧١/١) .
- (٢) في ديوان الموشحات الأندلسية : لقد تباهى ، وقد اعتمدنا على رواية المغرب المطبوع .

(١١) (*)

سدلن	ظلام	الشعور (١)
على	أوجه	كالبدور

* * *

سفرن	فلاح	الصباح
هززن	قدود	الرماح
ضحكن	ابتسام	الأفاح
كان	الذى	فى
تخيرن	منه	الثور

* * *

سلوا	مقلتى	ساحر
عن	السحر	والساحر
وعن	نظر	حائر
يريش	سهام	الفتور
ويرى	خبايا	الصدور

لقد	همت	ويحيى	بها
وذلل	قلبي		لها
أما	والهوى		أنها
لظبي	كناس	تفور	
تغار	عليه	الحدور	

* * *

حرمت	للذيد	الكري
سهرت	ونام	الوري
نوى	ليت	شعري
أساط	ليلي	شهور
أم	الليل	حولى
		يدور

* * *

ظفرت	بصب	كثيب
...	...	ب (١)
...	...	ب (٢)
فنكد	وعذب	وجور
وأسرف	غلامك	صبور

(١٢) (*)

حسب	الخليع	ملجا	روض	على	غدير
وقموة	مداره	أنفاسها	عبر		

* * *

صفراء	بت	دن	بالنور	تطلع
ينشق	كل	دجن	عنها	وينصدع
إبريقها		يفنى	والكأس	يستمع
ولا	نزال	نرجى	للتحادث	الكبير
لهم	إن	أشاره	بين الحشا	مثير

* * *

هل	الكتوس	راحه	لذى (١)	بلا بل
يا واحد	الملاحه	بعد	ابن راحل	
هذى	النوى	مباحه	فاحفظ	وسائلى (٢)
ما للكتيب	منجى	إذ بات	في سعي	
قلب	يشب	ناره	في أدمع	تفور

* * *

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ١٩٦-١٩٧ .

(١) في جيش التوشيح : الا لذى .

(٢) في جيش التوشيح : وسائلى :

قد	ملت	كل	ميل	لجانب	الصبا
ويل	وأى	ويل	للكل	من	صبا
أعيا	على	ليلي	شرقاً	ومغرباً	
كواكب	تزجي (١)	تراحف	الكسير		
فهن	في	استدارة	والليل	كالأسير	

* * *

ملك	له	جنود	من	طرفه	الكحيل
ألاحظه	نرود	في	هذه	العقول	
وريقه (٢)	البرود	وخده	الأسيل		
راح	تقل	فلجاً (٣)	كالدر	في	النحور
ونور	جلناره	في	سوسن	نضير	

* * *

-
- (١) في جيش التوشيج : ترجمي ، وما أمبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية ٩٦/٢ .
 (٢) في جيش التوشيج : من ريقه ، وما أمبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية .
 (٣) في جيش التوشيج : ثلجاً ، والصواب ما أمبتناه .

لما	نأيت	عنى	وبت	مكددا
عللت		بالتمنى	قلباً	مفردا
وإذ	قربت	منى	غدوت	منشدا
بشرى	لكل ^(١)	من	جا	الوزير
أن يعطى ^(٢)	من	بشاره	ما يعطى	البشر

•••••

(١) في جيش التوشيح : بشر في كل ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية

(٢) في جيش التوشيح : ويعطى ، وما أثبتناه عن ديوان الموشحات الأندلسية

(١٣) (*)

عبرة	تسيل	ودم	على	الأثر
قد	صبرت	حتى	لات	حين مصطبرى

* * *

لا	أطيق	كنها	ضقت	بالأسى	ذرها
زائر	ألما	يلبس	الدجى	درعا	
هجبوه	لما	صار	صورة	بدما	
وكذا	الأفول	من	عوائد	القمر	
قلما	تأتى	أمل	بلا	كدر	

(١٤) (*)

صادني ولم يدر ما صاد
شادن سبي الليث فانقادا
واستخف بالبدر (١) أو كادا
ياله قد (٢) ضم بالغصن أزراره
وبالحقف (٣) زناره

* * *

لو أجاز حكى عليه
لا اقترحت تقبيل نعليه
لا أقول أَلَمْ خديه
أنا من يعظم (٤) والله مقداره
ويلزم (٥) إكباره

-
- (*) وردت في المغرب ٢٧٧/١-٢٧٨ ، جيش التوشيج ص ٢١٠-٢١٢ ، تفج الطيب ٢٨/٣ ، وجاء فيه : « لما قل (ابن زهر) الموشحة المشورة التي أولها : « صادني ولم يدر ما صاد » قال أبو بكر بن الجدة: لو سئل عما صاد لقال: تيس بلحية حمراء . »
- (١) في جيش التوشيج ، وتفتح الطيب : بالشمس .
- (٢) في جيش التوشيج ، يا له قر ، وفي المغرب . يا له لقد .
- (٣) في جيش التوشيج : والحقف .
- (٤) في جيش التوشيج : أعظم .
- (٥) في جيش التوشيج : وألزم .

يا ممالك (١) حبسك أر حسي
 قد قضيت في حبكم نحي
 واحتسبت نفسي في الحب
 إنها نفس لذا (٢) الحب مختاره (٣)
 وبالسوء أماره

* * *

عارض (٤) الفؤاد بأشجانه (٥)
 ومضى على حكم سلطانه
 فانبريت في بعض أوطانه
 تارة أقبل في التراب (٦) آثاره
 وأندبه تاره

* * *

-
- (١) في المغرب : يا سناك .
 (٢) في المغرب : لدى .
 (٣) في المغرب : مختاره .
 (٤) في المغرب : مرض .
 (٥) في المغرب : لأشجانه .
 (٦) في المغرب : ساقطة من المغرب .

أيها المدل بأجفانه

كم (١) وفيت والغدر من شانه

وأقول في بعض هجرانه (٢)

وعلى حبيب (٣) قطعت الزياره

وعينيك سجاره

(١) في جيش التوشيح : قسد .

(٢) في المغرب : وأصح من طول هجرانه .

(٣) في جيش التوشيح : على حبيب .

(١٥)(*)

سلم الأمر للقضا فهو لافس أنفع^(١)

* * *

واغتتم حين أقبلا
وجه بدر تهلا
لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى
ليس بالحزن^(١) يرجع

* * *

واصطبج بانبنة الكروم
من يدي شادن رخيم
حين يفتر عن نظم
فيه برق قد او مضى
ورحيق مشمع

(*) وردت في: نفع الطيب ٢/٢٥١، العذاري المائسات ص ٩٦ .

(١) في العذاري المائسات : مع الحزن .

أنا أفديه من رشا
أهيف القد والحشا
سقى الحسن فانتشا
مذ تولى وأعرضا
فقؤادى يقطع

* * *

من لصب غدا مشوق
ظل في دمه غريق
حين أموا حمى العقيق
واستقلوا بذى الغضا
أسفى يوم ودعوا

* * *

ما ترى حين أظعننا
وسرى (١) الركب موهنا
واكتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذى أضأ
أم مع الركب يوشع (٢)

* * *

(١) فى العذارى المائسات : وبرى .

(٢) ألم ابن زهر هنا بقول أبى تمام :

فوالله ما أدرى أحلام نائم

(أنظر ديوان أبى تمام ٢ / ٣٢٠) .

ألمت بنا أم كانت فى الرك يوشع

(١٦) (*)

يا من تعطينا الكئوس على اذكاره (١)
وقضى على قلبي فلم يأخذ بشاره
وأقر أحكام القصاص على اختياره
إن أقل حسبي فاجور تأباه الطباع

* * *

علقته ماشئت من حسن بديع
أودى بقلبي واستنام (٢) إلى ضلوعي
فأقامها في (٣) موضع القلب الصديق
شيم الحب تكليف ما لا يستطاع

(*) وردت في : جيش التوشيح ص ١٩٨-١٩٩ .

(١) في جيش التوشيح : اذكاره .

(٢) في جيش التوشيح : واستقام ، وما أئتمناه عن ديوان الموشحات الأندلسية

. ٧١/٢

(٣) في جيش التوشيح : من ، وما أئتمناه من ديوان الموشحات الأندلسية .

* * *

سر الهوى شئ يؤول إلى افتضاح
فالشمس ضاق بحملها طلع الصباح (١)
أخت السماء دعاء من غاظ اللواحي
إن ٣٣ قلبي فالحسن أمار مطاع

* * *

ماللحيب أجد مرتحلا وسارا
لاصبر لي عنه ولو رمت اضطارا
ملاء القلوب جوى وأذكاها (٢) أوارا
سل عن الركب هل يستطاع له أرتجاع

* * *

عفلى تحمل إن ألم بي الرقيب
إن المحب لملها لا يستريب
ذكر الحبيب فقلت من هذا الحبيب
رب (٣) يارب هذا الحبيب اجمعنى ماع (٤)

(١) فى جيش التوشيح : الضياح .

(٢) فى جيش التوشيح : أنسكاها ، وما أفتتاه من ديوان الموشحات الأندلسية .

(٣) فى جيش التوشيح : يا رب ، وما أفتتاه من ديوان الموشحات الأندلسية .

(٤) فى جيش التوشيح : ماع ، وما أفتتاه من الرجل فى الأندلس من ٢٠ .

(١٧) (*)

أيها الساقى (١) إليك المشتكى
وننديم همت في غوته
وشربت (٢) الراح من راحته
كلما استيقظ (٣) من سكرته (٤)
جذب الزق إليه وانكا
وسقاني أربعاً في أربع

(*) وردت في : جيش التوشيع ص ٢٠٢-٢٠٤ ، المغرب ١/٢٧٢-٢٧٣ ،
دار الطراز ٧٣-٧٤ ، توشيع التوشيع ص ١٢٦-١٢٩ ، المطرب ص ٢٠٥ ، طبقات
الأطباء ٧٣/٢ ، معجم الأدباء ١٨/٢١٩ ، الوافي بالوفيات ٤/٤٠ ، العذارى المائتات
ص ٥ ، عقود اللال ٥ ط ، روض الأدب ١٩٤ .

ترتيب الأبيات في توشيع التوشيع : ١، ٣، ٢، ٤، ٥. وفي المغرب ١، ٢، ٥، ٣، ٤ .

(١) معجم الأدباء : الشاكي .

(٢) المغرب : كم .

(٣) المغرب وجيش التوشيع : وسقاني ، وفي توشيع التوشيع والعذارى المائتات :

وبشرب .

(٤) معجم الأدباء : استيقظت .

(٥) جيش التوشيع : فاذا م صبح من سكرته .

* * *

غصن بان مال من حيث استوى
 بات (١) من يهواه من (٢) فرط النوى (٣)
 خافق (٤) الأحشاء موهون (٥) القوى
 كلما فكر (٦) في البين بكى ماله (٧) يبكى لما لم يقع

* * *

ما (٨) لعيني عشت (٩) بالنظر
 أنكرت بعدك ضوء القمر
 وإذا (١٠) ماشئت فاسمع خبرى
 عشت عيناى (١١) من طول البكا
 وبكى بعضى على بعضى معى

-
- (١) دار الطراز : مات .
 (٢) توشيع التوشيع : مى .
 (٣) جيش التوشيع والمغرب : من خوف النوى .
 (٤) فى توشيع التوشيع ودار الطراز وطبقات الأطباء ومعجم الأدباء والهندارى،
 المائسات وعقود اللال : خفق ، وفى جيش التوشيع : تلقى .
 (٥) جيش التوشيع : مهضوم ، المغرب : مضعوف .
 (٦) توشيع التوشيع وعقود اللال : افسكر .
 (٧) المغرب : ياله ، وفى توشيع التوشيع والهندارى المائسات : ويحه .
 (٨) الوافى بالوفيات : يا .
 (٩) جيش التوشيع والهندارى المائسات وعقود اللال : غشت وفى المغرب : شقت ، وفى
 المغرب : شقت .
 (١٠) جيش التوشيع والمغرب ودار الطراز : فاذا .
 (١١) جيش التوشيع : شقت عيناى ، وفى طبقات الأطباء : شقت عيناى ، وفى توشيع
 التوشيع : شقت عيناى ، وفى عقود اللال : غشت عيناى ، وفى معجم الأدباء : قرهت عيناى .

* * *

ليس لي صبر ولا لي جلد (١)
يا القوم (٢) عذلوا (٣) واجتهدوا
أنكروا شكواي مما أجد
مثل حالى حقها (٤) أن تشتكى
كمد اليأس وذل اللطمع (٥)

* * *

كبد حرى ودمع (٦) يكف
يعرف (٧) الذنب ولا يعترف (٨)
أيها المعرض عما أصف (٩)
قد نما حبك (١٠) عندى (١١) وزكا
لا تقل إني في حبك مدع (١٢)

(١) المغرب : قد برأني في هواك السكد .
(٢) دار الطرب والمطرب : ما اقوى ، وفي معجم الأدباء : يا قوم ،
(٣) معجم الأدباء : هجروا .
(٤) المغرب ولبقات الأطباء : حقه ، وفي معجم الأدباء : ان مثلى حقه أن يشتكى .
(٥) اختلاف ترتيب هذا القفل في المغرب فجاء نقلا للبيت الخامس الذي جاء ترتيبه
الرابع في المغرب .

(٦) في جيش التوشيح وتوشيع التوشيع والعذارى المائتات : ودمعى .
(٧) في المغرب وتوشيع التوشيع : تعرف .
(٨) في المغرب وتوشيع التوشيع : تعترف .
(٩) اختلاف ترتيب هذا الدور في المغرب فجاء على هذا النحو : ١ ، ٢ ، ٣ .
(١٠) في توشيع التوشيع والعذارى المائتات : حبى .
(١١) في جيش التوشيع وتوشيع التوشيع والعذارى المائتات ونمود اللال : بقلبي .
(١٢) في جيش التوشيع : وتقل إني في حبك مدعى . وفي المغرب ومعجم الأدباء
وطبقات الأطباء : لا يظن الحب إني مدعى ، وفي توشيع التوشيع والعذارى المائتات :
لا تخل في الحب إني مدعى .

(١٨)(*)

هل للعزا فيك سبيل ياهاجرى ما أغدرك
ذدت الكرى عن بصرى لله طرف أبصرك

* * *

طاوحت فى أمرى (١) النوى ولم ترق لى شققا
وليس لى ذنب سوى أمر لحينى سبقا
تجور أحكام الهوى ليت الهوى ما خلقا
صيرنى عبداً ذليل إذ كان مولى صيرك
ولم يكن فى القدر من حيلة أن أحذرك

* * *

باطاعة الشمس أما أصلحت ذاك الخلقا
جعلت قربى حرما هيئت جسمى حرقا
ولم تعرج كلها جئتك أشكو الأرقا
وقام للوجد دليل بالسر منى (٢) أخبرك
أخذت فى قتل برى ولم تحقق نظرك

(*) وردت فى حيش التوشيح م ٢٠٩-٢١٠ .

(١) فى ديوان الموشحات الأندلسية : رأى .

(٢) فى ديوان الموشحات الأندلسية : فابى .

* * *

عن علمكم متزحاً	حكمت حي زمناً
ولا كشفت البرحاً	ولم أكن أبدى الضناً
أدركت منى لمحا	حتى إذا الحين دنا
إذ غشنى أن أهجرك	وكان من رأى العذول
لكن وجدى أظفرك	وأنت بالهجر حرى

* * *

واعطف لظمآن صدى	رد جوى فى كبدى
وبز نفسى جلدى	يا من سباني رشدى
موضع لمس ليله	لأنه ما فى جصدى
لم يبق لى ولا تركه	إلا سقام ونحول
يا مهجى ما أصبرك	بماوزت جسد البشر

* * *

ألفت إلا السهرا	بعدك مانت ولا
صبح ولا ضوء يرى	في ليلة طالت بلا
حين من الليل سرى	فقلت والبدر (١) على
لا بد لي أن أسهرك (٢)	يا ليل ظل أولا تطول (٢)
ما بت أرعى قمرك (٤)	لو بات عندي قمرى

(١) ديوان الموشحات الأندلسية : للبدر .

(٢) في جيش التوشيح : لا تطل وقد أثبتناها ملحونه لتتفق مع قوافي الأفعال
الأخرى .

(٣) هذان البيتان لابن زيدون . أنظر ديوانه ص ١٨٢ وقد اقتبسها ابن زهرو جعلها
خرجة لموشحته .

(١٩) (*)

بأبي من رايها نظرى فبدا في وجهها الخجل

* * *

أمهات تلك أم بشر
للورى فى حمىها عبر
غصن بان فوقه قمر
ورحيق جال فى درر
أين منه وبحك القبل

. . .

بدر ثم غاب فى الكلل
فناى عنى ولم يزل
وحياة الأعين النجل
ما يطيق البين من ضرر
فوق ما ناءت به الكلل

يا غـزالا راعه شرك
هل لقلبي عنك مترك
أو على عينيك لي درك
في سنان الفنج والخور
ما جناه الكحل والكحل

* * *

بت بين الدمع والسهد
واضعا كنى على كبدي
وبدي الأخرى تشد يدي
وتراهي الموت في صبور
غير أن لم يبلغ الأجل

* * *

أين مئى الصبر والجملد
ضقت ذرعا بالذى أجده
الهوى والبث والكمد
من أراد ان يدري إيش خبرى
عشق هو أى قلب يمتلوا

* * *

(٢٠)(٩)

جنت مقل الغزلان	جنايا	الشمول
على عالم الإنسان	جيلا	بعد جيل

* * *

أهيم بمن يطغيه	على	الجمال
أداريه أسترضيه	فيأبي	الغلال
لقد عدلونى فيه	وقالوا	وقالوا
على حين قد ألهانى	عن	قال وقيل
ليل الصدوالمجران	ويوم	الرحيل

* * *

إلى كم أدارى اللوام	مثنى	وفرادى
وتالله أخرى الأيام	لا أعطى	قيادا
لهفى صرت بين الأقوام	حديثاً	معادا
وقد قعدت أشجانى	بكل	سبيل
ولا عهد بالسوان	ولا ينبغي	لى

• • •

هو الحسن لا أختار	مطلوباً	عليه
وجه تشرق الأنوار	على	صفحته
وتستبق الأبصار	إليه	إليه
وقد كفصن البان	في	حقف مهيل
فذاك الذي يلحاني	عليه	عذولي

• • •

يا ابن الناصر المنصور	يا ابن	المجد أجمع
أنت الأمن للمذعور	مما	يتوقع
فكم جذل مسرور	يقول	ويسمع
أبو حفص ه سلطانى	الله	يحرزولى
ه آمنى ه أ غنائى	ه	بلغن سولى

(٢١) (*)

حى الوجوه الملاحا وحى نجل (١) العيون

* * *

هل فى الهوى من جناح
أو فى (٢) نديم وراح
رام النصوح (٣) صلاحى
وكيف أرجو صلاحا
بين الهوى والمجون

* * *

أبكى العيون (٤) البواكى
تذكار أخت السماك
حتى حمام الأراك
بـكى بشجوى (٥) وناحا
على فروع الغصون

(*) وردت فى : جيش التوشيح ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، المغرب ١/٢٧٨ - ٢٧٩ ،
توشيع التوشيح ص ١٠١ - ١٠٣ ، طبقات الأطباء ٢/٧٣ .
وجاء ترتيب الايات فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء مخالفاً للمغرب وحيش التوشيح
الذين التزمتا بترتيبها ، وترتيب الأبيات فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء على هذا
النحو : ١ ، ٤ ، ٢ ، ٣ ، ٥ .

(١) فى توشيع التوشيح : سود ، وفى طبقات الأطباء : كحل .

(٢) فى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : وفى .

(٣) المغرب : النصيح .

(٥) المغرب : هجوى ، وفى توشيع التوشيح وطبقات الأطباء : بشجو .

• • •

ألى إليها زمامه
صب بدارى (١) غرامه
ولا يطيق اكتتامه (٢)
غدا بشوق وراحا
ما بين شتى (٣) الظنون

• • •

يا غائباً لا يغيب
أنت البعيد القريب
كم تشتكك القلوب
أنختهن جراحا
فأسأل (٤) سهام الجفون

• • •

ياراحلا لم يودع
رحلت بالأنس أجمع
والفجر (٥) يعطى ويمنع
مرت (٦) عينيك الملاحا (٧)
سحر (٨) وما (٩) ودعوني

(١) توشيع التوشيع وطبقات الأطباء : يداوى .

(٢) » » » » : الملامة .

(٣) » » » » : سبي .

(٤) المغرب : فاترك ، توشيع التوشيع : وأسأل .

(٥) حبش التوشيع : والبحر . وفي توشيع التوشيع وطبقات الأطباء : والعجز .

(٦) » » : حوت .

(٧) توشيع التوشيع وطبقات الأطباء : مروا وأخفوا الرواحا .

(٨) توشيع التوشيع : تنى ، وفي المغرب وطبقات الأطباء وحش التوشيع :

سحرا .

(٩) المغرب : فسا .

(٢٢) (*)

ما للموله	من سكره ^(١) لا يفيق	يا لله سكران ^(٢)
من غير خمر	يا للكتيب المشوق	بندب الأوطان

* * *

هل تستعاد	أيامنا بالخليج	واياينا
إذ ^(٤) يستعاد	من النسيم الأريج	مسك دارينا
وإذ ^(٥) يكاد	حسن المكان البهيج	أن يحيينا
نهر ^(٦) أظله	دوح عليه أنيق	مورق الأفنان ^(٧)
والماء يجري	وعائم وغريق	من جنى الريحان ^(٨)

(*) وردت مفرقة في نفح الطيب ٧/ص ٩ ، ٢٥٠ ، المقطف ١٥٢ ، المغرب ٢٧١/١ ، العذاري المائسات ص ٥٦ ، أزهار الرياض ٢/٢١٠ ، مقدمة ابن خلدون ٤/١٣٣٢ الروضة الغناء (نقلا عن المستدرک علی دیوان الموشحات الأندلسية ص ٥٧) ، عدة الجليس ص ١٦٧ (نقلا عن الرجل فی الأندلس ص ١٩) .
(١) عدة الجليس . من عمره .

(٢) ورد هذا السمط في المغرب ٢٧١/١ وذكر بعده ان الموشحة تقدمت في المتزهات ، يعنى الحديث عن متزهات اشيلية وهى فيما سقط من المغرب .

(٣) نفح الطيب . ما .

(٤) مقدمة ابن خلدون . أو .

(٥) عدة الجليس . أو هل .

(٦) عدة الجليس . روض .

(٧) نفح الطيب . مؤتى فيناث .

(٨) الى هنا ينتهى ما وردت في نفح الطيب (٧/ ص ٥) من هذه الموشحة .

أوهل أديب	يحي لنا بالفروس	ما كان أحلى
معى الحبيب	وصافيات الكتوس	فاسقنى واملا
عيش بطيب	ومنز كالعروس	عندما تجلى
عيش لعله	يعود منه فريق	كالذى قد كان
أضغاث فكر	تحدو به وتسوق	هذه الألحان

* * *

يا صاحبيا	إلى متى تهذلانى	أقصرأ شيا
قد مت حيا	والمبتلى بالفوانى	ميت حيا
جنى عليا	عذب اللمى والمعانى	عاطر ريا
هلال كاله	غزال إنس يفوق	سائر الغزلان
باليت شعرى	هل لى إليه طريق	أو إلى السلوان

* * *

من	يميل	كأنه	في	التثنى	غصن	البانه (١)
خلاق	جميل	عليه	من	كل	حسن	رونق
خود	تقول	ليست	كأخرى	تفنى	وهي	سكرانه
نعم	يا الله	يعشقني	وانا	عشيق	ونحن	صبيان
لس	بالله	ندري	دع	كل	حد	مع رفيق (٢)
						إش يكون ان كان

° * °

(١) ، (٢) هذان القصائد كانا ساقطين من الموشحة ولكنها وردا في الروضة الفناء .

(٣) عدة الجلبس : ولفق .

(٢٣) (*)

قلب مدله	وفي الضلوع	حريق	يا له	لا كان
يذيب صبرى	ولا تزال	تريق	دمعها	الأفان

* * *

أخت السماك	شوق إليك	شديد	آه من قلبي	
أما هواك	فثابت	ويزيد	الهوى	حسبي
على نواك	أنى هناك	شهيد	معرك	الحب
يا من أضله	عن الصواب	فريق	قولهم	بهتان
بل ليس تدري	أن العذول	حقيق	منك	بالحجران

* * *

قلب قريح	وفي القواد	كلوم	أبدأ	تدمي
ويا مشيح	إلى متى	تستديم	جسدى	سقمأ
ويا نصوح	أهدى إليك	المالوم	أذنأ	صما
أطأت عذله	وما أراك	تطبيق	رده	عن شان
وأى نكر	أن يستلام (١)	مشوق	عذره	قد بان

(٥) وردت في : جيش التوشيح ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(١) في جيش التوشيح : بلام .

. . .

كذا أذوب	ولا	يزال	الغليل	جسدى	يفنى
فهر الطيب	من	على	ويقول	أين	هو منى
ولى حبيب	يسلو ^(١)	الوصال	بجبل	سىء	الظن
إن رمت وصله	قال	أنت	صديق	ضيع	الكتان
إن باح سرى	إنى	بـذا	خلقى	وبدا	إعلان

. . .

يا من لدبه	حسن	الملاح	حقير	كلما	تاهوا ^(٢)
ومن عليه	حرب	الموالى	يسير	حين	يلقاء
ومن إليه	أشكو	الهوى	وبجور	حسبى	الله
يا خير جملة	فيك	الجمال	أنيق	والصباريات	
أنا لعمرى	فى	مقلتيك	أفوق	فى الهوى	غيلان ^(٣)

(١) جيش التوشيح : بدؤل ، وما أئتمناه عن ديوان الموشحات الأندلسية ٨٢/٢ .

(٢) » » : تام .

(٣) غيلان : هو ذو الرمة .

يا من بطيل	من	الصدود	كفاكا	استمع	منى
ويا عذول	أليس	تملك	فاكا	انته	عنى
ويا بخيل	ألا (١)	أبحت	لـا كا	جود	ممتن
قبلنى قبله	ومر	عنى	طريق	ذا الرشا الوسنان	
بالت شعرى	وفه	طريقى	لحيق	أماح	الفرلان

(*) (٢٤)

* * *

صاح	قلبي من الحب غير صاح
لاح	وإن لحاني على الملاح
راحي	وإنما بغية اقتراحي
شان	وإن دري قصتي وشاني

* * *

سلسل (١)	وإني من الحب قد تسلسل
منهل	في صورة الدمع بعدما انهل
أول	والعود عندي لمن تأول
ثان	والحسن فيه على المثاني

* * *

عودي	يا أم سعد باسم السعود
جودي	وبعد حين من المهجود
نودي	على ملك تحت البنود
عان	فقال إني بمن دعاني

* * *

(*) وردت في توشيح التوشيح ص ٩٦-٩٧ ، عقود اللال ٩١ .

(١) في توشيح التوشيح : سل سل .

وناظر^(١) ناظر^(٢) المحيا حيا
أراك من قوله إليها ليا
فأنشدته لمن تهيا هيا
واحد هو يأى من جيرانى رانى^(٣)

* * *

وناطق بالذى كفهاها فاها
وبعدما راغباً أناها تاها
وبالجمال الذى سبهاها باهى
قالت على الحسن من سباني باني

باني

(١) توشيع التوشيع ، عقود اللال : وناظري .

(٢) عقود اللال : ناظر .

(٣) كذا ترتيب الأبيات في توشيع التوشيع وعقود اللال ، والأصوب أن يسكون ترتيب الأبيات على هذا النحو : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٤ لان الخربة (العامة) جاءت في البيت الرابع .

(*) (٢٥)

لأ تبعن الهوى إلى أفاصيه (١)
حتى يقول فريق رقت حواشيه

* ° *

ماعيل مصطبرى لولاء بايجي
أموت بالنظر وتارة أحيا
ما شئت من خبر يا بدع في الأشياء
صب يقاسى الذوى فيما يقاسيه
يفيض وادى العقيق على مآقيه

* * °

من لى بوجه جمع نحاسن العصور
يغنى إذا ما طلع عن مطلع القمر
ومبسم لم يدع صبراً لمصطبر
مثل الأفاح استوى فبات يسقيه
ريق كأن الرحيق مشعشع فيه

* * *

(*) وردت في : المغرب ١/ ٢٧٥-٢٧٦ .

(١) في ديوان الموشحات الأندلسية : أفاصيه .

دمعى جرى فنطق	عن بعض ما أجد
ومسعدى فى الأرق	والناس قد رقدوا
نجم ضعيف الرمق	حيران منفرد
يلوح ضعف القوى	على توانيه
مثل التماس الغريق	ما ليس ينجيه

* * *

وجه كبثل الهلال	يبدو على غصن
رصعته بالجمال	ونخفة الحسن
فعند ذلك قال	قولوا له عنى
لس نرتضى لو سوى	وصفى ونشبهى
يريد نكون ل صديق	يصبر على نيهى

فهرس الموشحات بحسب ورودها

الموشحة	النوع	المرجة	الوزن
(١) كل له هوالك يطيب	تام	عامية	من المنسرح الأقوال :
			مستفعلن فعولات فعلن الأدوار :
			مستفعلن فعولات فعلن
٢ - هات ابنة العنب	تام	عامية	الأقوال : من البسيط مستفعلن فعلن فاعلن الأدوار : من المجتث مستفعلن فاعلاتن
٣ - ما العيد في حلة وطاق	تام	ناقصة	من البسيط الأقوال :
			مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فا
٤ - فتق المسك بكافور الصباح	تام	فصحى (مقتبسة)	من الرمل : الأقوال :
			فاعلاتن فاعلاتن فاعلان الأدوار :
			فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٥ - هل ينفع الوجد أو يفيد	تام	عامية	من البسيط : الأقوال : مستفعلن فاعلن فعول الأدوار : مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعو
٦ - نبه الصبح رقدة النائم	تام	فصحى	من الخفيف الأقوال والأدوار : فاعلاتن متفعلمن فعلمن فاعلاتن متاف
٧ - هل لقلبي قرار	تام	فصحى	من الخفيف : الأقوال والأدوار : فاعلاتن فعولن مع تذييل السمت الثاني من القفل بـ (فعولن)
٨ - يا صاحبي نداء مغتبط بصاحب	أقرع	عامية	من الكامل : الأدوار : متفاعلمن متفاعلمن متفاعلاتن

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٩ - زعمت أنقاسى الصعدا	تام		من المديد فاعلاتن فاعلن فعلن
١٠ - مد الخليج ..	تام	عامية	من الرجز القفل : مستفعلن مس × تفعلن متفعلن
١١ - سدلن ظلام الشعور	تام	عامية	من المتقارب : الاقفال : فعولن فعولن فعول الادوار : فعولن فعولن فعو
١٢ - حسب الخليج ملجا	تام	عامية	من الرجز الاقفال والادوار : مستفعلن فعولن مستفعلن فعو
١٣ - عبرة تسيل	تام	عامية	من المقتضب الاقفال : فاعلاتن مفعو . فاعلاتن مفتعلن الادوار : فاعلاتن مفعو . فاعلاتن مفعولن

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
١٤ - صادنى ولم يدر ما صادنا	أقرع	عامية	من مقلوب البسيط الادوار : فاعلاتن مستفععلن فعلن
١٥ - سلم الأمر للقضا	تام	فصحى (مقتبسة)	من الخفيف : فاعلاتن متفع لن
١٦ - يا من تعاطينا	أقرع	عامية	من الكامل الادوار متفاععلن متفاععلن متفاعلاتن
١٧ - أيها الساقى إليك المشتكى	تام	عامية	من الرمل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
١٨ - هل للعزافيك سبيل	تام	مقتبسة	من الرجز : الادوار : مستفععلن مستفععلن . : . مستفععلن مستفععلن
١٩ - بأبى من رابها نظرى	تام	عامية	من المديد فاعلاتن فاعلن فعلن
٢٠ - جنت مقل الغزلان	تام	عامية	من المقتضب الاقفال والادوات : مفعولات مفعولاتن مفعولات مفعو

الموشحة	النوع	الخرجة	الوزن
٢١ - حى الوجوه الملاحا	تام	عامية	من المجتث مستفع لن فاعلان
٢٢ - ماللموله	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعن فا مستفعن فاعلن مس × تفعن فعن
٢٣ - قلب مدله	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار على نمط الموشحة السابقة
٢٤ - قلبي من الحب غير محاح	أقرع	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعن فاعلن فعولن . عولن
٢٥ - لأبعن الهوى	تام	عامية	من البسيط الاقفال والادوار : مستفعن فاعلن مستفعن فعن

المصادر

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، مجريط ، ١٨٨٦ .
- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، القاهرة ١٨٨٢ .
- ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- أبو تمام : ديوان ، تحقيق محمد عزام ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- ابن حمد يس : ديوان ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- الخـازن : العذاري المائسات في الأزجال والموشحات ، جونية ، ١٩٠٢ .
- ابن الخطيب : جيش التوشيح ، تحقيق هـلال ناجي ومحمد ماضور ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٧ .
- ابن خلدون : مقدمة العبر ، القاهرة ، ١٩٣٠ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق الأبياري وطابدين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

ابن زيدون : ديوان ، تحقيق على عبد العظيم ، ط . دار نهضة مصر ، ١٩٨٠ .

ابن سعيد : إختصار القدر المعلى فى التاريخ المحلى ، تحقيق الأيبارى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

» » : المغرب فى حلى المغرب تحقيق د . شوق ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨

» » : المقتطف من أزاهر الطرف ، مصورة عن مخطوطة الاسكوريال .

ابن سناء الملك : دار الطراز فى عمل الموشحات ، تحقيق د . جودت الركابى ، دمشق ، ١٩٤٩ .

ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الصفدى : توشيع التوشيع ، تحقيق البير مطلق ، بيروت ١٩٦٦

» : الوافى بالوفيات ، تحقيق ريتز ، دبدرينغ ، نجم ، بيروت ١٩٧٢ / ٦٢ .

صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، تحقيق ، عبد القادر محمدا ، بيروت ، ١٩٧٠ .

الضبي : بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة لكتايب الموصول والعلة ، تحقيق
د . إحسان عباس ، بيروت ، ٦٤ / ١٩٦٥ .

عبدالواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق العربان
والعلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

ابن عربى : ديوان ، بولاق ، القاهرة ١٨٥٥

العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ،

١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ

الغبرينى : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة
السابعة بجاية ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ،
١٩٦٩ .

المجى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ،
المطبعة الوهية ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ

المقرئ : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تحقيق
السقا والايارى وشلبى ، القاهرة ، ٣٩ / ١٩٤٢
: نفح الطيب ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت
١٩٦٨ .

النواجى : عقود اللال فى الموشحات والأزجال ، مصور عن
مخطوطة الاسكوريال .

ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الادباء)
القاهرة ، ٣٦ / ١٩٣٨ .

المراجع

- الأهواني (د . عبد العزيز) الزجل في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧
- بالتيا (جنثا) : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥
- البستاني (بطرس) : أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعث ، الطبعة الثالثة ، بيروت
- الجراري (د . عباس) : موشحات مغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٧٣
- مفاجي (د . محمد عبد المنعم) : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، القاهرة ، ١٩٤٩
- ملوسي (د . صفاء) : فن التقطيع الشعري والقافية ، بيروت ، ١٩٧٤
- الشكعة (د . مصطفى) : الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، بيروت ، ١٩٧٥
- عنان (د . محمد عبد الله) : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٤
- عنان (د . محمد زكريا) : المستدرك على ديوان الموشحات الأندلسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢
- عيسى (د . فوزي سعد) : الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، الاسكندرية ، ١٩٧٩

غازى (د . سيد مصطفى) : فى أصول التوشيح ، الاسكندرية ، ١٩٧٦

» » » : ديوان الموشحات الأندلسية ، الاسكندرية ،

١٩٧٩

كدون (عبد الله) : النبوغ المغربى فى الأدب العربى ، بيروت ،

١٩٦١

كيلانى (كامل) : نظرات فى تاريخ الأدب الاندلسى ، القاهرة ،

١٩٢٤

مجموعة مؤلفين : حركات التجديد فى الأدب العربى ، القاهرة ،

١٩٦٨

مصطفى الكريم : فن التوشيح ، بيروت ، ١٩٥٩

هيكىل (د ، أحمد) : الأدب الاندلسى من الفتح إلى سقوط

الخلافة ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٧٩



رقم الابداع ٨٣ / ٤١٨٢

البرقيم الدولي ٧ - ٠٧٨ - ١٠٣ - ٩٧٧